

٢

روايات عالمية للحب



Looloo

www.dvd4arab.com

تأليف : رايدر هاجارد
إعداد : د. نبيل فاروق

كنوز الملك سليمان

١ - المعبود ..

قصتي في الواقع عجيبة وغريبة ، حتى انني اتساءل ، وانا اخطها إليكم ، عما إذا كانت قابلة للتصديق ام لا ، فهي - على الرغم من حدوثها - تبدو اقرب إلى روايات الاساطير ، وخيالات الادباء ، بكل ما تذخر به من احداث مثيرة ، ومواقف مذهشة رهيبة ، وبكل ما تحمله إلى مستمعها وقرائها من روائع الشرق ، وغموض الادغال والبراري ..

ثم انني لست بالبطل الاسطوري المقدام ، الذي يمكن أن تحاك حوله كل هذه المغامرات والاحداث ، فلقد ولدت في (كمبرلاند) ، من أب مزارع ، اختار لنفسه زوجة من إحدى مقاطعات (ويلز) ، مما اورثنى حب الانتقال والاسفار ، وملا عروقي بدماء المغامرة والمجازفة ..

ولا تجعل هذه المقدمة تبهرك ، او تحبس انفاسك ، او تدفعك إلى رسم صورة خيالية لي ، ابدو فيها ممشوق القوام ، مفتول العضلات ، وسيم الملامح ، فانا - على العكس - هزيل نحيل ، لي وجه يشبه وجه الجدى الأبيض ، إلى حد دفع المصريين إلى ان

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، في مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الاساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

يطلقوا على اسم (الجدى الأبيض) بالفعل ، عندما
قضيت فترة أسيرا في سجونهم ، بأمر خليفتهم ..
ثم إن عمرى الآن يناهز الخامسة والستين ..
ولكن دعونا نعود إلى قصتى ..

إننى طبيب من الطراز القديم ، الذى لم يكن يعتمد
على طرق العلاج الحديثة ، ولم أكد أبلغ سن الشباب
حتى رحت أغذى رغبتى فى الانتقال ، بالسفر إلى
الشرق والغرب ، حتى استقر بى المقام فى (القاهرة) ،
مع حلول عيد ميلادى الأربعين ، وفيها رحت أمارس
مهنتى ، وتصورت اننى سأكتفى بممارستها حتى
آخر يوم من عمرى ، لولا أن التقيت بمستر (هيجز) ،
عالم الآثار الشهير ..

ولهذا اللقاء قصة ..

لقد دعيت يوما لتوقيع الكشف الطبى عليه ،
عندما أصيب بمرض التيفوئيد ، وعلمت أنه واحد
من أشهر علماء الآثار فى العالم ، وأنه يتحدث ما يقرب
من خمس عشرة لغة ، كما يمكنه قراءة اللغة
الهيروغليفية بنفس البساطة التى يقرأ بها (جريدة
التايمز) ، وأنه قد أنفق آخر قرش يمتلكه على بحوثه
فى علم الآثار والتنقيب ، فلم أتردد فى معالجته مجانا ،

إلى أن شفى تماما ، وقامت بيننا صداقة وثيقة .
خاصة وأنه كان فى الثالثة والثلاثين من عمره ، أى
أن الفارق السنى بيننا لم يكن كبيرا ..

وفى (القاهرة) ربطنى الحب والزواج بفتاة
قبطية ، من إحدى أسر الصعيد ، وسليمة للفراغة
الأمجاد ، ونعمت معها بسعادة لا مثيل لها ، على
الرغم من احتفاظها بطابعها الشرقى ، وانجبت لى
ابنا واحدا ، ثم أصابها الطاعون اللعين ، فقضت
نحبها ، وتركت لى الطفل ، الذى ابت الأقدار أن
تترك لى لمحة من الحياة معه ، وأصرت على أن تملأ
كأس حزنى حتى حافته ، فاختطف رجال (المهدي)
ابنى ، وحطموا ما تبقى من نفسى تحطيما ..

وبعدها سارت بى الحياة على نهج ثابت ، ووتيرة
حزينة ، إلى أن فكرت يوما فى زيارة وطنى ،
فسافرت إلى (لندن) ، واتجهت من فوري لزيارة
مستر (هيجز) ، وهناك قادتنى خادمته إلى حجرة
مكتبه ، حيث وجدت نفسى بين اكداش من التحف
والمخطوطات والبرديات الفرعونية ، وصناديق
احتشدت ببقايا مومياوات وأجزاء بشرية محنطة ،
ولم يكد (هيجز) نفسه يصل ، حتى بدا لى شبيها
بتلك الأشياء ، وهو يرتدى معطفا أبيض اللون ،

اتسخ كثيرا بأتربة وغبار العمل ، وقد وخط الشيب
فوديه ، وبدا وكأنما قد تسلل إلى عينيه الباهتين ،
وهتف وهو يصافحني في حرارة :

— يا للمفاجأة !.. (ريتشارد آدمز) بشحمه
ولحمه !!.. اهو انت حقا ؟

ابتسمت وأنا اصافحه قائلا :

— يلوح لى ان كلمة شحمه هذه تحمل الكثير
من المبالغة يا صديقى ، والواقع اننى اردت مفاجاتك ،
فأخبرت خادمك اننى مجرد صديق ، ولم اذكر
لها اسمى .

هتف :

— مرحبا بك فى اية لحظة يا صديقى .. دعنى
اقدم لك صديقى الكابتن (اورم) .

صافحت الشاب الذى قدمه لى ، وهو ممشوق
القوام ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، هادىء
الطباع ، يبدو فى الخامسة والعشرين تقريبا ،
و (هيجز) يستطرد فى حماس :

— (اورم) هو أحد نوابغ اللغة العربية وعلم
الأثار المصرية ، ولقد تطوع فى الجيش إبان حرب
(البوير) ، وأصيب ثلاث مرات .

تبادلت كلمات المجاملة مع (اورم) ، وانهمك

ثلاثتنا فى احاديث طويلة ، استعدادنا خلالها بعض
الذكريات ، انا و (هيجز) ، وتناولنا بعض الطعام
والشراب ، ثم اشغل (هيجز) غليونه ، واسترخى
فى مجلسه ، وهو يسألنى فى اهتمام :

— قل لى يا (آدمز) : لماذا عدت إلى الوطن ؟

اجبته فى بساطة ، وأنا الوح بكفى :

— مجرد إجازة .

اعتدل فى حركة سريعة ، وانعقد حاجباه فى اهتمام
بالغ ، وهو ينفث دخان غليونه ، متطلعا إلى خاتم
كبير من الذهب ، يزينه فص من الياقوت الأزرق
فى إصبعى ، وقد نقشت عليه حروف قديمة ،
فسألته :

— هل يروق لك ؟

أوما برأسه إيجابا ، ومد يده إلى ، فنزعت
الخاتم ، ووضعت فى راحته ، وراح يفحصه فى
اهتمام ، ثم سألنى :

— هل تعرف معنى تلك الحروف القديمة ؟

هزرت رأسى نفيا ، فقرا الكلمات فى هدوء :

— هدية من (سليمان) الحكيم إلى (بلقيس) ،
ابنة الملوك والحكمة والجمال .

ضحكت قائلا :

— يا له من تقليد طريف !! لقد ابتعت الخاتم
من صائغ في (القاهرة) ، بجنيه ونصف فحسب .
تطلع إلى في شك ، مغمغما :

— اتعنى انه مجرد خاتم مقلد ؟ .. لا .. يبدو
لي أنك تسخر منى فحسب ، وإلا فمن صنعه مثقف
للفاية ، حتى يخط عليه هذه النقوش العبرانية
الدقيقة .

ران الصمت علينا لحظة ، ثم قلت :

— الواقع أننى قد حصلت عليه من سيدة تدعى
(ام النجاشي) ، وهى تدعى أنها حفيدة (سليمان)
و (بلقيس) .

راح يفحص الخاتم مرة أخرى في اهتمام ، ثم
دسه في أحد جيوب صدره ، وابتسم قائلا :
— اهذه هى القصة كلها ؟

القيت نظرة جانبية على كابتن (اورم) ، ثم
اعتدلت قائلا في حزم :

— انا مستعد لأن أقص عليك القصة كلها ، بشرط
أن يقسم كابتن (اورم) ألا يعيد كلمة واحدة مما
سيسمع على أذن أحد .

قال (اورم) في هدوء :

— ثق أننى اهل لثقتك يا سيدى .

بعثت كلماته ولهجته الطمانينة إلى نفسى ، وبدأت
أروى لهما ، قائلا :

— حدث أن اعتقلنى خليفة (مصر) خمسة
اعوام كاملة ، لخلاف بينى وبينه ، ولم يكذب يطلق
سراحي حتى سعت للبحث عن ابنى (رودريك) ،
الذى اختطفه رجال (المهدي) قديما ، ورحلت اقضى
عمرى متجولا في صحارى (افريقيا) ، على أجد
ولدى ، وقد باعه هؤلاء أوغاد كالرقيق ، إلى إحدى
القبائل أو أحد التجار ، ولما كان ابنى موسيقيا
موهوبا ، فقد كان تتبع خطواته أمرا ميسورا ،
ولقد علمت انه قد راح يتنقل من قبيلة إلى أخرى ،
وقد اطلقوا عليه لقب (مطرب مصر) ، لإتقانه
لفتهم ، والعزف على آلاتهم الوطنية ، وعلمت انه
يستقر الآن وسط قوم من انصاف البرابرة ، يحملون
اسم قبائل (الفنج) ، ويقيمون في وسط (افريقيا) ،
فتنكرت في زى تاجر عربى ، وسافرت مع عدد من
التجار إلى حيث (الفنج) ، وهناك تسلفت حائط
أحد معابدهم ، في أثناء أحد احتفالاتهم الدينية ،
واستمعت إلى غنائهم .. ولسعادتى ميزت صوت



استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت نفسي أرقد في شرفة واسعة لمنزل أنيق ..

ولدى بينهم ، وتعرفته على الرغم من ثوبه الأفريقي ،
والأعوام التي انقضت منذ فراقنا ، ولحظتها غلبني
انفعالي ، ودفعني حنين الأبوة إلى أن أتناسي كل
قواعد الحذر ، وأصرخ مناديا باسم ابني (رودريك) ،
وهنا ساد الهرج والمرج ، ولمحني بعض (الفنج)
في مخبئي ، وانطلق عدد منهم نحوي ، فغلبني
الجبن ، واطلقت ساقى للرياح ، ورحت أعدو بكل
ما أملك من قوة ، وقد ارتثق أحد السهام بين
كتفي ، غير مبال بزئير الأسود في الأدغال ، ولا
بالأحراش المظلمة ، ولكن فجأة انقض أسد على جواد
يجاورني ، وأصابني بالرعب ، وسقطت فاقد
الوعي .

بدا الانفعال واضحا في صوت (هيجز) ، وهو
يسألني :

— وماذا حدث بعدها ؟

أجبتة :

— استعدت وعي بعد أسبوع كامل ، ووجدت
نفسى أرقد في شرفة واسعة لمنزل أنيق ، وإلى
جوارى حبشية حسناء ، تعنى بجراحي ، وتداوى
آلامي ، وعلمت فيما بعد أن (الفنج) قد انتقموا
من قافلة التجار العرب ، الذين اندسست وسطهم ،

واحرقوها عن آخرها ، وان هؤلاء الذين انقذوني
من الاسد هم ابناء قبيلة (اباتى) ، التى تعيش في
مدينة (المور) ، وقد نالوا نصيبا موفورا من المدنية ،
ويبلغ تعدادهم ما يقرب من العشرين ألف نسمة ،
وهم يحيون في رعب دائم من (الفنج) ، الذين
يحملون لهم كراهية متوارثة ، ويمتلكون حصنا عجيبا
جبليا ، ورثوه ايضا عن اجدادهم .

سألنى (هيجز) ، وقد ملأت اللهفة حواسه
كلها :

— ثم ماذا ؟

تنهدت قبل ان اقول :

— بذلت اقصى جهدى لحض (الاباتى) على
اعداد حملة ضد (الفنج) ؛ لإنقاذ ولدى من العبودية
والرق ، ولكنهم سخرؤا منى ، واصلوا رفضهم
التام لفكرتى ، فلم أجد امامى سوى ملكتهم
(مجيدة) ، ابنة الملوك والجمال والحكمة ، وتظاهرت
بالاهتمام بصحتها كطبيب ، وافضيت إليها بفكرتى ،
فترددت طويلا ، ثم اخبرتنى أن لـ (الفنج) معبودا
على هيئة (أبى الهول) ، ولكن رأسه ليست على
شكل رأس إنسان ، وإنما هى رأس كبش ضخمة ،
وهذا المعبود يدعى (هرمق) .

تمتم (هيجز) ، وهو يستمع فى اهتمام :

— هذا يعنى (إله الفجر) .

واصلت دون الالتفات إلى تعليقه :

— و (الفنج) يؤمنون إيمانا قاطعا بأن تدمير هذا
المعبود هو أمر بالرحيل عبر نهر الجنوب العظيم .
سألنى (هيجز) فى اهتمام بالغ :

— أى نهر هو ؟

أجبت فى اهتمام مشابه :

— لم تذكر اسمه ، ولكنه أحد روافد نهر النيل
حتما ، أو أحد فروع . . المهم اننى قد اقترحت
عليها السعى لهدم ذلك المعبود ، فضحكت واخبرتني
أنه شديد الضخامة ، فى حجم جبل صغير ، وليس
من الهين هدمه بالأيدي ، ثم إن رجالها قد فقدوا
الكثير من شجاعتهم وبأسهم ، وانهم قد استكانوا
للقيش فى أرضهم الخصبة ، حتى يوافيهم الاجل
وتطوى صحائفهم ، ولما سألتها عما إذا كانت هى
قائعة بكل هذا الخضوع والخنوع ، أجابتني بأن
الحزن يملأ قلبها وعقلها ، ويؤرق نومها ، ولكنها
على أية حال امرأة ، لا حول لها ولا قوة ، ثم حاولت
قلب الأمور ، فراحت تغرينى بكنوز اجدادها المخبأة ،
وتعدنى بجبل من الذهب والمجوهرات ، لو اننى

سعت لهدم ذلك المعبود ، فاجبتها باننى زاهد فى
المال والثروة ، وكل ما ارجب فيه هو إنقاذ ولدى ،
الذى يحيا كعبد بين (الفنج) ، فاصرت على موقفها ،
وعلى انها لن تبذل جهدها او رجالها فى سبيل
استعادة ولدى ، قبل ان يتم هدم ذلك المعبود ، وهنا
رحت اشرح لها فوائد الديناميت ، وقوته ، وتأثيره ،
وخواص غيره من المتفجرات ، فهتفت فى حماس ،
تطالبنى بالعودة إلى بلادى ، وإحضار المواد اللازمة
لهدم ذلك المعبود ، واثنين او ثلاثة لمعاونتى ،
وستمنحنى كنوز الاجداد كلها ، وتساعدنى فى
استعادة وحيدى .

سألنى (اورم) :

— وماذا فعلت ؟

اكملت انا :

— منحتنى الملكة (مجيدة) الكثير من الذهب ،
وعددا من الرجال والجمال ، وسلطنا دروبا خفية ،
لا يعلم عنها (الفنج) شيئا ، وقطعنا عدة اميال فى
الصحراء ، حتى بلغنا (اسوان) ، وهناك تركت
الرجال والجمال منذ اسبوعين ، وهرعت إلى هنا ،
لمعرفتى بمضى شغف صديقى (هيجز) بالآثار
القديمة ، واردت ان امنحك ، إلى جوار الثروة ،

فرصة لتكون اول من يكشف مدنيات قديمة ،
ضاعت فى غياهب المجهول ، وكل ما اطلبه الآن هو
ان نجد رجلا خبيرا فى المفرقات ، ياخذ على عاتقه
مهمة هدم معبود (الفنج) .

ابتسم (هيجز) ، وأشار بطرف غليونه إلى
كابتن (اورم) ، قائلا :

— الامر اسهل مما تظن ، فها هو ذا كابتن
(اورم) ، مهندس وكيميائى ، وخبير مفرقات ،
إلى جانب إجادته التامة للغة العربية منذ صباه .
تطلعت إلى الكابتن ، أسأله :

— هل ترضى بإقحام نفسك فى مثل هذه
المخاطرة ؟

هز كتفيه ، مجيبا فى هدوء وبساطة :

— ليس لدى الآن ما يمنعنى من هذا .

سأله :

— ماذا تعنى بكلمة (الآن) ؟

تخرج وجهه بحمرة خفيفة ، لم تلبث ان تلاشت
فى سرعة ، وهو يجيب :

— الواقع اننى كنت اتصور ، حتى أمس فقط ،
اننى قد ورثت ثروة عظيمة ، من عم لى ، توفى فى

جنوب (افريقيا) ، واليوم علمت انه كان قد تزوج
من امرأة ادنى منه مرتبة ، على نحو سرى ، وانجب
منها ولدا ، هو وريثه الشرعى ولا شك ، ولكن هذا
ليس السبب الوحيد لـرغبتي في ترك (إنجلترا) ،
وانما السبب الحقيقى هو ان المرأة التى تصورت
انها تحبني ، واننى سأصبح زوجها لها ، قد صارحتنى
اليوم بأنها لن تتزوج ضابطا متقاعدا ، ضاع امله
في ميراث عمه .

بدا لنا الموقف حساسا ، فلم ننطق انا و (هيجز)
بتعليق واحد ، احتراما لمشاعر الشاب ، الذى
صمت بدوره ، فران على المكان صمت رهيب ،
قطعه (هيجز) اخيرا في صوت مرتفع ، وكأنما يدير
دفة الحديث بعيدا عن موطن احزان (اورم) :
- ما غرضك الحقيقى من هذا يا (آدمز) ؟

اجبته في الم وانفعال :

- حاول ان تضع نفسك في مركزى .. تصور
ان ابنك الوحيد سجين مع قوم غلاظ النفوس ،
قساة القلوب وانك قد عثرت عليه ، بعد ان نضج
واشتد عوده ، فهل تتركه عبدا بينهم .
- اتنقذه بتعريض رقبتك للسيف ؟

- الابوة يا صديقى غريزة لا تقهر ولا تقارن ، ثم
إن (مجيدة) قد وعدتني بالمساعدة والمال ، ولما
صارحتها بأن احدا لن يصدق قصتى ، منحتنى
خاتمها للدلالة على صحة القصة ، ومنحتنى الذهب
لشراء المال والعتاد ، وسالتنى الا يزيد عدد معاونى
على ثلاثة ، فهل ترغب في ان تكون احدهم ، ام ابحت
عن غيرك ؟

تطلع إلى في صمت ، وهو يشعل غليونه ، وينفث
دخانها في بطن ، ثم لم يلبث ان مال إلى الامام بفتة ،
وسألنى :

- الديك بعض الذهب الذى منحتك إياه ملكة
(الأباتى) ؟

قلت وانا افتح حقيبتى الصغيرة :
- ها هو ذا .

ناولته بعض الذهب ، ففحصه في اهتمام ، وبدا
على ملامحه ان شكوكه قد تبددت ، وهو يقول
لـ (اورم) :

- ما دام يحتاج إلى ثلاثة معاونين ، فلم
لا نصطحب الجاويش (كويك) ؟

ثم التفت إلى مستطردا :

— إنه معاون الكابتن ، منذ كانا معا في الجيش ،
وهو خبير الفام ومتفجرات ، ولقد كان ميكانيكيا
قبل الحرب ، ثم إنه مخلص كتوم ، متين البنيان .
وبسرعة ، استدعى (اورم) الجاويش (كويك) ،
الذى بدا لى واضح القوة والبأس ، وسأله
الكابتن :

— ما رايك في رحلة إلى وسط (افريقيا)
يا (كويك) ؟

ضرب (كويك) كعبيه بعضهما ببعض ، شأن اى
جندى محترف ، واجاب :

— لا رأى لى يا سيدى .. إننى اذهب حيث
يامر رئيسى ، ثم إن المتفجرات هى أبسط الاشياء
التى اجيدها .

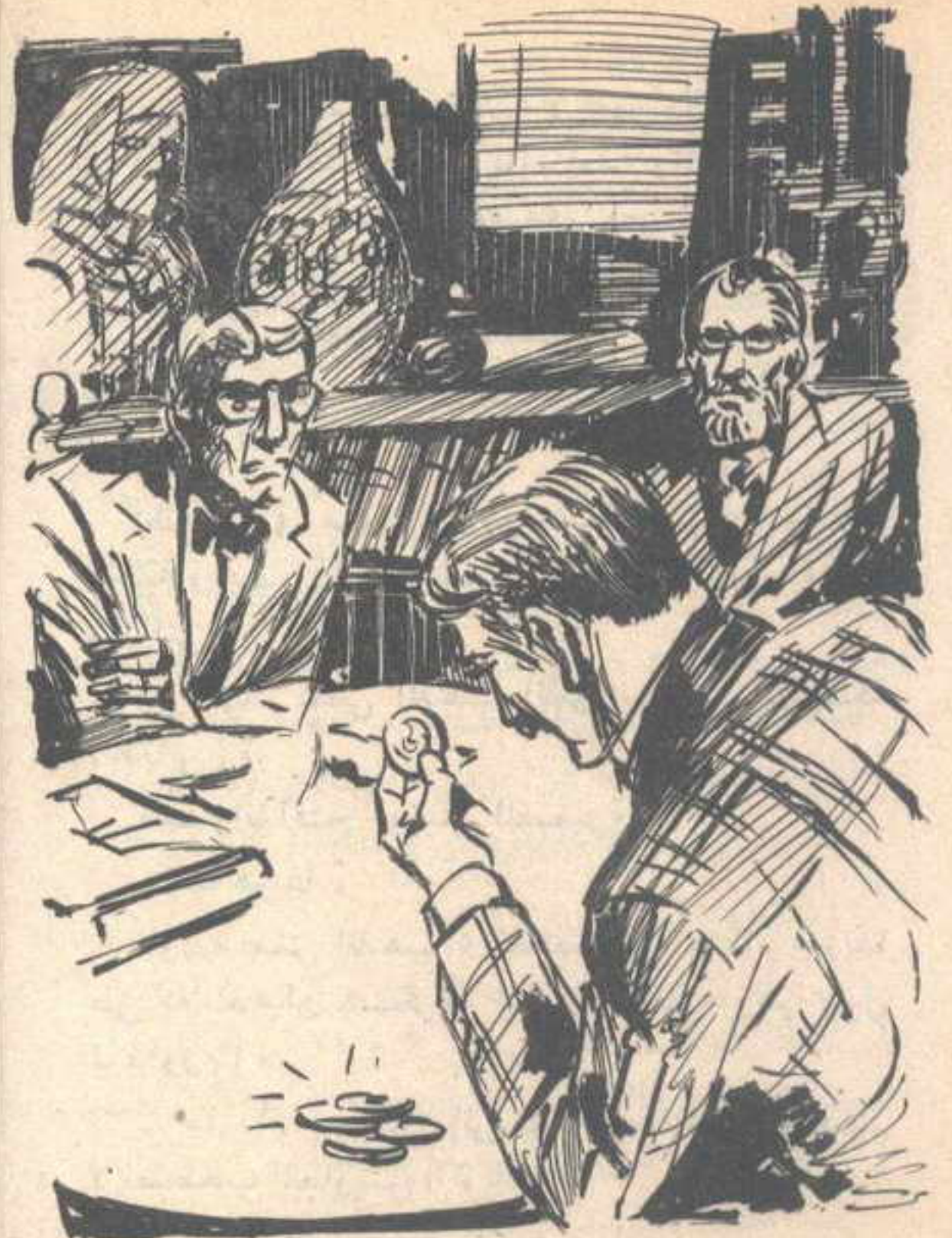
اصابتنا الدهشة ، وهتف (اورم) يسأله :

— كيف علمت هذا ؟

اجاب دون حتى ان يتسم :

— ابواب المنازل القديمة هشة غير متماسكة
يا سيدى ، وصوت مستر (آدمز) ليس من
الاصوات التى تحجبها الجدران .

انفجرنا ضاحكين ، وقال (اورم) :



ناولته بعض الذهب ، ففحصه في اهتمام ، وبدأ على ملامحه أن
شكوكه قد تبددت ..

سنة أسابيع مضت ، ونحن نسير في لجة
لا تنتهى من الرمال الصفراء ، التى لم تطأها قبلنا
حتى قوافل البدو الرحل ، والشمس تشرق كل
صباح بضوئها الأحمر من خلف التباب الشرقية ،
وتختفى فى المساء خلف الكثبان الغربية ، ليصعد
القمر ، ويفمر بحر الرمال بضوئه الفضى الساحر ..
وأخيرا بدا لنا ذلك الجبل ، الذى هو معبود
(الفنج) ، الذى يواجه مدينتهم (هرمق) ، التى
لا يتجاوز تعداد سكانها الخمسين ألف نسمة ..
وأخبرنا (القط) ، قائد قافلتنا ، أن للجبال
المحيطة بالمدينة مدخلا واحدا ، على مسيرة ثمانية
أيام إلى الشمال ، وأنه لا سبيل لبلوغه هذه الأيام ،
حيث تعترضه - فى هذا الوقت من السنة - بحيرة
كبيرة ، يفيض منها نهر (ايبور) ، ويتفرع إلى
فرعين ، يحيطان بسهول (الفنج) كلها ، ولكن هناك
وسيلة أخرى لبلوغ المعبد المقام على صخور شامخة ،
الا وهى أن نترك الجمال والأحمال ، ونتسلق
الجبل ..

وكان هذا مستحيلا ..

- إذن فلست تمنع فى مرافقتنا .. هل تدرك
ما ستعرض له من مخاطر وأهوال ، وما ستواجهه
من احتمال عدم العودة مطلقا ؟

هز (كويك) رأسه فى بساطة ، وقال :

- ليس أحب إلى نفسى من المغامرة ، ثم إننا
سنبحث عن ثروة ، وكل ما أطلبه هو أن أحصل
على خمسة فى المائة منها ، لو عثرنا عليها .

هتفت فى حماس :

- خذ عشرة فى المائة .

أجاب فى هدوء :

- تكفينى خمسة فى المائة يا سيدى ، ويمكننا
أن نحرر عقدا بهذا ..

وبالفعل تم تحرير العقد ..

وبدأت المغامرة ..

ولم يكن من المجدى ان نبلغ ذلك المعبود ، مخلفين
وراءنا كل ما احضرناه لتدميره ؛ لذا فقد سألت
(القط) فى اهتمام :

— ما العمل إذن ؟

هز كتفيه فى لا مبالاة ، واجاب :

— ليس امامنا سوى ان نسير ليلا ونختفى
نهارا ، فمن عادات (الفنج) انهم سيقيمون حفلا
رائعا للربيع فى مدينتهم غدا ، ومع الفجر ينتقلون
إلى معبدهم ؛ لتقديم القرابين لمعبودهم ، وهم
يرفعون الحراسة فى تلك الساعات ، ليشاركهم
الحراس احتفالاتهم ؛ لذا فالوسيلة الوحيدة هى ان
نبلغ اول طريق (المور) ، مع ليلة الاحتفال بعيدهم ،
وسأخبر رجالى ؛ لإرسال من يرشدنا إلى الطريق
وسط الظلام .

— وكيف يمكنك إبلاغهم ؟

— بإشارات الدخان .. سأحرق بعض الاعشاب ،
وسيتصور (الفنج) انها نيران احد صيادى
المنطقة .

— اليس فى ذلك مجازفة كبيرة ؟

— مجازفة ؟!!! عجبا ..!! ما كنت اظن
الإنجليز جبناء هكذا .

وهنا انفجر (هيجز) غاضبا :

— جبناء ؟!!.. كيف تجرؤ على هذا القول ايها
القدر .. انظر إلى هذا الجاويش .. إنه خادمنا ،
واقلنا شأننا ، ولكن ما ياصبعه الصغير من شجاعة
يفوق ما تحمله منها قلوب قبيلتك كلها .

احتقن وجه (القط) غضبا ، ورفع رأسه قائلا
فى غلظة :

— انت تنطق هراء يا (هيجز) ، ولكن قولك
هذا سيتغير كثيرا ، عندما تجد سيف (الفنج)
فوق عنقك .

كاد (هيجز) يشتبك معه فى حوار عنيف ، إلا
ان (اورم) تدخل قائلا :

— كفى .. اظن ان لدينا من المتاعب ما يغنينا عن
المزيد منها .

ثم التفت إلى (القط) مستطردا :

— لا داعى للشجار يا رجل .. إنك قائدنا فى
ساعات السلم ، وأنا القائد عندما يحتدم القتال ،
ونحن نسلمك قيادنا الآن ، فقدنا اينما وحيثما
شئت ، وسنتبعك على الركب والسعة .

ظهر الارتياح على وجه (القط) ، وكأنما أعادت

إليه كلمات (اورم) كرامته ، في حين راح هذا الأخير
يطمئن على الإبل والجياد ، وذهبت أنا و (هيجز)
و (كويك) إلى خيامنا ، في محاولة منا لاختلاس قدر
من النوم ، قبل أن تهاجمنا أسراب البعوض اللعينة ،
وقبل أن أنعم بقدر كاف من النوم ، جاء الجاويش
(كويك) ليوقظني مع مغيب الشمس ، وليساعدني
على حزم أمتعتي ، ووجدته يقول في قلق :

- لست أثق عادة في القط الذي يبرز مخالبه
هكذا ، فذلك الرجل يبدو لي مأكرا خبيثا ، يكره
البيض ، ويتمنى لو نهلك قبل عودتنا من (المور) .
كان هذا شعوري أيضا في الواقع ، إلا أنني رحت
أعمل على تهدئة (كويك) ، وانطلقنا جميعا نقطع
طريقنا تحت جناح الظلام ، حتى بلغنا خرائب المدينة
المهجورة ، المطلة على الهاوية ، تحت صخور (المور) ،
مع تبشير الفجر ، فحططنا الرحال ، وجلسنا
نستريح ، وعندما اعتلت الشمس متن السماء ،
أمكنني رؤية مدينة (هرمق) العظيمة ، بمنظاري
المقرب ، على بعد خمسة عشر ميلا .

كانت مدينة كبيرة ، منازلها كثيرة ، ذات اسقف
بيض ، تحيط بها الحدائق من كل جانب ، وشوارعها
واسعة ، وأسواقها فسيحة ، وحول المدينة جدار

عال ، ترتفع في أركانه أبراج عالية ، وبينها بوابات
كبيرة ، وحول الجدار مراعى ينبت فيها العشب
الأخضر ، وتنتشر فيها قطعان الماشية والأغنام
والجياد ، وعلى مقربة منها ما يشبه مدينت أو قرى
صغيرة ، من المستحيل أن يشيدها أو يقطنها الهمج
أو البرابرة ..

وبقينا في أماكننا ، ننتظر قدوم الليل ، لنكمل
مسيرتنا نحو أرض (الفنج) ، ورحت أراقب
(القط) ، وأنا أتذكر حديث (مجيدة) عنه ..
قالت : « لا تخلو نفسي من الشك في أمره ، ولكنني
استغل فيه دهاءه ومكره وجراته ، وعليك أن تتخذ
كل الحذر منه ، فلست أطمئن إليه إلا لأنني احتفظ
بزوجته وأطفاله رهينة عندي ، وأعده بمكافأة ضخمة
مغرية ، لو ساعدكم على هدم معبد (الفنج) » ..
تذكرت كلماتها وأنا أتطلع إلى وجه (القط) ،
الذي يحمل كل ما يشير القلق في النفوس ، حتى أن
كلبنا الوديع (فرعون) كان يكرهه ، وينبج في وجهه
دوما ، بل لقد حاول مرة أن يغرس أنيابه في ساقه ،
فبادله (القط) الكراهية ، ولم تكد علبة سم
(الاستركنين) تقع في يده ، حتى غمس فيها قطعة
من اللحم ، وألقاها إلى (فرعون) ، الذي كاد يلتهمها

بالفعل ، لولا أن شك (هيجز) في ذلك التعاطف
المباغت ، فأسرع يفحص قطعة اللحم ، ولم يكده
يدرك مقصد (القط) حتى نشبت بينهما معركة
بالأيدي ، كادت تنقلب إلى معركة طاحنة بيننا وبين
رجال (القط) ، لولا أن تدخل الكابتن كالمعتاد ،
وانهى الصراع ، وجعلهما يتصافحان ، ولكنى ظللت
واثقا من أن نفس (القط) لم تهدأ تجاه (هيجز) ،
وأن حقه عليه سيتضاعف مع مرور الأيام ..

توقفت عن اجترار الأفكار والذكريات مع مقدم
الليل ، حيث عاودنا السير ، يتقدمنا دليل من
(الأباتى) ، يحفظ كل شبر في الطريق ، وبعده كابتن
(أوزم) والجاويش (كويك) ، يقودان الإبل المحملة
بالمفرقات والمتفجرات ، وأنا خلفهما للمراقبة
والحراسة ، وخلفى جمال القافلة الأخرى ، ثم فى
المؤخرة يسير (هيجز) و (القط) ، بصحبة اثنين
من (الأباتى) ..

ولقد أصر (القط) على السير فى المؤخرة ، حتى
لا تنسب إليه أية أخطاء قد تقع فيها ، وصحبه
(هيجز) ، ليدلل على صفاء نيته وطيب طويته
تجاهه ..

وفجأة هطلت الأمطار فى عنف ، وراحت الرياح

تزار وتعوى ، إلا أننا لم نتوقف وإنما واصلنا سيرنا
فى إصرار وصمت ، طيلة ثلاث ساعات ، حتى واجهتنا
أضواء (هرمق) ، وسمعنا همسا يدعونا للتوقف ،
ثم لم نلبث أن تبينا أن صاحبه هو أحد الوطنيين من
(الأباتى) ، الذين أرسلهم (القط) لاستطلاع
الطريق ، وقد عاد ليخبرنا أن عددا من فرسان
(الفنج) يسدون الطريق ، وأنه من الضروري أن
نتوقف قليلا ، حتى ينتقلوا إلى مكان آخر ، ويفسحوا
لنا السبيل ..

واتجه (القط) إلى المقدمة ، ليستطلع ما حدث ،
ولم يكده كلبنا (فرعون) يشتم رائحة عدوه ، حتى
انطلق ينبح فى شراسة ..
وانطلق (القط) يعدو ..

واضطربت الجمال لعدوه ، وانطلقت تعدو
بدورها ..

وجفل قادة الجمال ، عندما راوا (القط) يقفز
فوق أحد الجمال ، ويركض به هاربا ..
وهنا التفت إلينا فرسان (الفنج) ..
وهبط قلبى بين ساقى ، عندما رأيتهم يرفعون
مشاعلهم ، ويتجهون إلينا ..
وكانت لحظات مخيفة ..

لم ندر كيف فعلنا كل هذا ..

لقد قفزنا كلنا فوق ظهور الجمال ، وتركناها
تعدو بنا بسرعة البرق ، دون ان نحدد هدفنا او
اتجاهنا ..

لا ريب ان الذعر ، ذلك الذى جعلنا نفعل كل
هذا ..

إنه اقوى محرك لمن هو فى مثل موقعنا او
ظروفنا ..

المهم ان الجمال راحت تعدو مبتعدة ، ونحن
نسلمها قيادنا تماما ، حتى خفت سرعتها ، إلى ان
راحت تسير تحت قباب عالية ، وتوقفت كلها فجأة ،
فهبطنا عن ظهورها ، وربطنا بعضها إلى بعض ،
واوينا إلى برج عال ، نتقى به الأمطار الفزيرة ، وقد
اطمأنت قلوبنا إلى ان مطاردينا قد فشلوا فى تتبع
خطانا ، فتراجعوا إلى مواقعهم ..

لحظتها كشفنا اختفاء (هيجز) ..

واصابنا هذا بالذعر ..

إننا لم نلاحظ هذا ونحن نعدو هاربين ، ولم ننتبه
حتى إلى ما حدث ..

هل تبع (القط) فى فراره ، ام فشل فى اعتلاء
جملة مثلنا ، فأوقع به فرسان (الفنج) ؟!

حرنا فى البحث عن الجواب ، وغلبنا الحزن
والنوم ، فرحنا فى سبات عميق ، لم نستيقظ منه
إلا عند الفجر ، فوجدنا ان الأمطار قد انقطعت ،
وكشفت السماء الصافية ، التى تتالق فيها بقايا
النجوم ، التى يبدو ضوء الشفق بريقها تدريجيا ..
ورفع كابتن (اورم) رأسه إلى أعلى ، وهو
يقول :

- تعالوا نستكشف ذلك المكان ، ونصعد فى هذا
الدرج هناك .

رحنا نصعد فى درجات السلم المرتفع ، حتى وجدنا
انفسنا على قمة احد أبراج سور مدينة (هرمق) ،
نظل على واد فسيح يتوسطه تمثال حيوان بالغ
الضخامة ، يشبه تمثال (ابي الهول) ، ووجدت
نفسى اهتف فى انفعال :

- إنه معبود (الفنج) .

غمغم (اورم) فى حزن :

- كم أتمنى لو أننى انا الذى لقي مصرعه ، بدلا
من (هيجز) ، حتى لا يحرم رؤية ذلك الاثر
الهائل .

وصمت لحظات ، ابتلع خلالها حزنه ، قبل ان
يضيف :

— هيا نهبط ، فقد يمكننا الفرار ، قبل ان
ينقشع ضباب الفجر .
اجبته في انفعال :

— انتظر .. انظروا إلى تلك الصخرة هناك ..
تلك التي تربض فوقها النسور ، والتي يحيط بها
الضباب .. إنها الصخرة البيضاء ، التي قال
(القبط) إنها بداية سلسلة الجبال ، التي تنتهى في
(المور) .. هيا نتجه إليها ، فقد يكون هذا هو
فرصتنا الوحيدة للنجاة .

هبطنا إلى حيث تركنا الجمال ، ورحنا نفحص
أبواب جدار (هرمق) الضخم ، ووجدناها من
النحاس والبرونز ، وقد علاها الصدا ، وهى مغلقة
من الداخل ، وبها فجوات منتظمة ، يستخدمها
— ولا شك — فرسان (الفنج) ، في إطلاق سهامهم
على الأعداء ..

وانحنيت لالقي نظرة عبر إحدى الفجوات ..
ثم تراجع في رعب ..

لقد كان هناك بعض فرسان (الفنج) ، يندفعون
نحونا ، والشر يطل من عيونهم ، فصرخت مدعورا :
— الفرسان يهاجمونا .

انطلقت أعدو نحو الجمال ، في حين راح (اورم)
و (كويك) يصليان فرسان (الفنج) نيران بندقيتهما ،
حتى سقط نصف الفرسان صرعى ، وفر النصف
الآخر ، إلا أننا لم نلبث أن فوجئنا بفريق آخر من
الفرسان ، يعتلى الأسوار ، ويهاجمنا مطلقا علينا
السهام في شراسة ، فقال (كويك) في حزم :

— اتركوا لى أمرهم .. سألن هؤلاء الاوغاد
درسا .

قالها وتسلسل كقط حذر نحو الأسوار ، ورايته
يدس أحد الفامه في قاعدة السور ، ثم يتراجع في
خفة ، هاتفا :

— أسرعوا .

لم يكذ يتم عبارته ، حتى دوى انفجار رهيب ،
وسقط بعض (الفنج) قتلى ، في حين جفلت جياد
البعض الآخر ، وراحت تعدو متراجعة ، في حين
انطلقنا نحن على ظهور الجمال ..

وصاح أحد (الأباتى) في ذعر :

— إنهم يطاردوننا ..

التفت لأجد فريقا من (الفنج) يطاردنا ، ولم أكد
اعتدل حتى رايت جيشا من الفرسان ينقض علينا ..
لقد وقعنا بين المطرقة والسندان ..

وهوى قلبى رعبا وياسا ، لولا ان هتف كابتن
(اورم) :

— يا إلهى !.. هؤلاء الذين امامنا ليسوا من
(الفنج) .

اسرعت اضع منظارى المقرب على عينى ، واتطلع
إلى حيث يشير ، فوق بصرى على اعلام (الأباتى)
الخضراء ، وعليها تلك الكتابات العبرانية ، التى
توسطها صورة عرش (سليمان) ..

واسرعنا نحو فرسان (الأباتى) ، ولم نكد نبلفهم
حتى برزت من بينهم امرأة فى نقاب أبيض ، وثوب
ناصع البياض ، وسألتنى بلغتهم :
— من القائد هنا ؟

أشرت إلى (اورم) ، الذى يكاد يسقط من فوق
جمله ، من شدة الإجهاد والإعياء ، فخاطبته فى لهجة
تشف عن أصلها النبيل :
— ماذا حدث يا سيدى ؟

سألها فى حزم :
— هل لى ان اعلم أولا من أخاطب ؟

رفعت رأسها فى اعتزاز ، وهى تقول فى ترفع :

— أنا الملكة (مجيدة) ، ابنة الملوك والحكمة
والجمال ، وشعارى على جبينى ينطق بصدقى ..
ورفعت النقاب عن وجهها الفاتن الساحر ..
وتراجع (اورم) مبهورا ..
بل مشدوها ومسحورا ..
لقد رأى امامه حورية من حوريات الجنة ..
رأى حفيدة (سليمان) ..

يمكن القول ، دون أدنى قدر من المبالغة ، أن
(مجيده) قد سحرت (أورم) تماما ..

لقد رايتَه وقد نسي كل تعبهِ وإجهاده ، وهو
يحدق في وجهها الفاتن ، وجمالها الطاغى ، قبل أن
يتمتم مبهورا مشدوها :

- انا في حلم ؟! .. امرأة هي أم حورية من
حوريات الجنة ؟

سالتني (مجيده) في حيرة :

- ماذا يقول صاحبك ؟

ترجمت لها حديثه بكل أمانة ، فتخرج وجهها
بحمرة الخجل ، وأسرعت تسدل النقاب على وجهها
في حياء ، فتحنح الكابتن حرجا ، واعتدل قائلا في
حزم ، بدا وكأنه محاولة للسيطرة على مشاعره :

- يجب أن نعجل بالهجوم على (الفنج) قبل أن
يستعيدوا جاشهم .

ولكن (مجيده) أجابته في هدوء ، باللغة العربية
التي يجيدها (أورم) :

- يجب أن استشير مجلسي أولا .

ثم التفتت مستطردة في لهجة أمرة :

- أين عمى الأمير (جوشيا) ؟

وتقدم نحوها فارس شاب ، متين البنيان ،
يرتدى حلة شرقية ثمينة ، ودرعا وخوذة كفرسان
الغرب ، وسألتَه (مجيده) :

- لقد تهدم جزء من السور كما ترى ، افتجدها
فرصة مناسبة لغزو (الفنج) ، أم انه علينا أن
ننتظر ، حتى يهاجمونا هم .

حدق في وجهها بدهشة ، وهتف مستنكرا :

- هل أصابك الجنون يا ابنة الملوك ؟! .. إننا
لا نزيد على خمسمائة رجل ، أما هم فعدهم يربو
على العشرة آلاف .

هتفت غاضبة :

- ولكنني أرغب في مهاجمتهم ، فمن يتبعني ؟
صاح بعض رجالها يؤيد قولها ، إلا انها أضافت
في مرارة :

- يؤسفني ألا أستطيع هذا فعلا ، فرجالى لم
يخلقوا للحرب والقتال .

سرت هممة غاضبة بين رجالها ، واستل عمها
سيفه ، هاتفا في صوت جهورى :

— أنت تعرفين مدى شجاعتى وجراتى ، وتعلمين
كم قتل هذا السيف من (الفنج) و ...

قاطعه (اورم) فى صرامة :

— أعد سيفك إلى غمده يا رجل .

بدا العناد على وجه الرجل لحظة ، لولا ان ظهر
ثلاثة من فرسان (الفنج) يتجهون إلينا ، وقد أخفى
أحدهم وجهه بقناع أبيض ، به ثقب للعينين والفم ،
فتراجع (الأباتى) فى خوف وقلق ، فى حين بقيت
(مجيدة) قوية متماسكة ، وهى تقول فى حزم :

— إنهم رسل (الفنج) دعنا نر ماذا يريدون .

أقبل الفرسان الثلاثة ، حتى توقفوا أمامنا ،
والقوا علينا التحية فى أدب واحترام ، ثم قال
أحدهم :

— لقد أتينا يا (أم النجاشى) وابنة (سليمان) ،

لنتحدث إلى البيض الثلاثة ، الذين قتلوا العديد من
رجالنا ، وهدموا أحد أسوارنا ، وأرسلوا البرق
والرعد إلى صدور فرساننا .

سألته (مجيدة) فى ترفع :

— ماذا تريدون منهم ؟

أجابها :

— لقد سقط رابعهم أسيرا لدينا ، وحكم عليه
كهنتنا بالموت ، ولكننا مستعدون للإبقاء على حياته ،
كما فعلنا مع (مطرب مصر) وكاهن (هرمق) ،
مقابل أن ينضم البيض الثلاثة إلينا ، لا إليكم .

قال (اورم) فى حزم :

— إننا نشكر سلطانكم على عرضه هذا ، ويؤسفنا
ان اضطررنا لقتل عدد من رجاله ، دفاعا عن أنفسنا ،
ونحن نعتزف بأن (الأباتى) قوم جبناء ، ولكن ملكتهم
إمراة عظيمة ، كبيرة القلب ، ولقد وصلنا هنا على
متن جمالها ، وبغرض خدمتها ، وهذا يضطرنا لرفض
عرض سلطانكم ، مع عظيم الأسف .

هز الرجل رأسه متفهما ، عندما استمع إلى رد
(اورم) ، ثم التفت إلى (مجيدة) يقول :

— سلطاننا العظيم (بارونج) يوجه إليك الدعوة
نفسها ، وأنت تعلمين ما يحمله لك من احترام
وتقدير وتقدير ، وهو يدعوك إليه على الرحب
والسعة ، ويعدك بأن يضعك على رأس زوجاته ،
أو يترك لك حرية الزواج بمن تشائين .

قال عبارته الأخيرة ورمق (اورم) بطرف خفى ،
وكأنما يعنيه بها بالذات ، قبل أن يتابع :

- اتركى قومك الجبناء وانضمي إلينا ، يفتديك رجالنا بأرواحهم ، فلقد أدبت واجبك على خير ما يرام ، ولولاك لصار شعبك ملكا لنا منذ سنوات ، ونحن نعلم أنك قد لجأت إلى هؤلاء البيض ؛ ليهدموا معبودنا بسحرهم ، بعد أن وعدتهم بكنوز وذهب ملوكنا الأقدمين .

سألته (مجيدة) في خفوت :

- من أخبرك بهذا ؟ .. أهو أسيركم الأبيض ؟
هز الرجل رأسه نفيا في هدوء ، وقال :

- لا يا (أم النجاشي) ، بل هو (القط) ..
والآن ما جوابك يا زهرة (المور) ؟

اعتدلت (مجيدة) في مجلسها ، فوق صهوة جوادها ، وبدأت لى على ما أروع ما تكون ملكة ، وهى تقول فى حزم :

- لقد أقسمت بشرفى أن أحمى (المور) حتى النهاية .

ابتسم الرجل وقال :

- لن تحننى بشرفك يا زهرة (المور) ..
سينقى ملكنا هذه المنطقة من الجبناء ، ثم يولىك عليها مرة أخرى ، فتصبحين ملكة على أرض تتيهين ببسالة فرسانها .

وفجأة رفع الفارس المقنع قناعه ، والقاه على الأرض بحركة سريعة ، وبدأت - لأول مرة - أساريره النبيلة ، وبشرته النحاسية ، ووجهه الذى يشف عن سنوات عمره المقاربة للخمسين ، وقد أطلق لحيته ، وتألقت قلادة فرعونية قديمة على صدره ، فترجل الفارسان الآخران عن جواديهما ، وسجدا أمامه هاتفين :

- (بارونج) .. (بارونج) .

وأمام فيض الهيبة المتدفق من الرجل ، لم نملك إلا أن نحياه فى احترام بالغ ، ولم يسع (مجيدة) سليفة الملوك إلا أن تنحنى له ، فرد تحيتنا برفع رمحه فى عظمة وهيبة ، قبل أن يقول :

- لقد سمعت يا (أم النجاشي) و (زهرة المور)
ويا رجال الغرب ما قاله خادمى بأمر منى ، ويوسفنى مطاردة رجالى لكم ، فما يليق بفرقة كاملة من الفرسان أن تطارد أربعة رجال ، ولكننى أمد لكم يدي ، وأرجو سليفة الملوك أن تقبل صداقتى ، فليست أحب أن أتورط فى مقاتلة جيش ضئيل من الرعايد ، لا يستحق سوى الازدراء أو الشفقة ، وإلا فإننى سأنتقم لهدم معبدى ومعبودى شر الانتقام ، وسيكون الأسير الأبيض كبش الفداء .

ضربت (مجيدة) مقدمة سرجها بقبضة يدها ،
وصاحت :

— محال يا (بارونج) .. لن اخضع لكم واعبد
معبودكم ، متخلية عن ديني الحق ، الذي آمن به
(سليمان) وحفدته .. إنه من المستحيل ان تخضع
عقيدة حقة لصنم قد من حجر ، اما ريعتي ، التي
اعترف بجبنها وخنوعها ، فإنني افضل لها موتا
شريفا ، على حياة هي الرق والعبودية والجحيم ،
وانتقامك لمعبودك لا يهمني او يردني ، مادمت احطمه
في سبيل الله (سبحانه وتعالى) ، خالقي وإلهي ..
واذبحني لو ان هذا قدرى .

وصمت لحظة ، ثم أضافت في حزم :

— هذا جوابي كملكة لشعب يدين لها بالولاء ، اما
كامرأة ، فانا اشكر لك عواطفك وادبك الجم .
ران الصمت لحظات ، ثم سالها السلطان :
— اهذا جوابك النهائي ؟

رفعت راسها في اعتزاز ، وهي تقول :

— نعم .. وبقي ان اعلن هؤلاء الاصدقاء البيض
اننى احلهم من وعدهم ، فلا معنى لان يلقوا بأيديهم
في التهلكة ، في سبيل حرب خاسرة ، واذكرك بانك

قد ضمنت لهم الحرية والإبقاء على حياتهم ، لو
انضموا إليك ، وكذلك على حياة زميلهم الرابع ،
الذي تحتفظون به اسيرا ، ثم إن لديك اسيرا آخر ،
تطلقون عليه اسم (مطرب مصر) ، هو في الواقع ابن
احدهم ، ولست اظنك تضن بالولد على والده .

توقفت منتظرة جواب السلطان ، ولكنه بقي
صامتا ، يتطلع إليها ، فالتفتت إلينا مستطردة :

— اذهبوا إليه ايها الاصدقاء ، واشكر لكم
رحلتكم الطويلة من اجلى ، وسارسل لكم هدية
ضخمة من الذهب ، وربما التقينا في حرب قريبة ..
الوداع ايها الاصدقاء .

كان من الواضح انها ترقبنا من خلف نقابها في
اهتمام شديد ، وكأنها تنتظر معرفة ردود افعالنا ،
وكذلك راح السلطان يراقبنا بنفس الاهتمام ،
متخللا شعر لحيته الكثة بأصابعه ، حتى قال كابتن
(اورم) :

— يمكنني ان اتحدث عن نفسي ، وعن الجاويش
(كويك) ، فأقيد نفسينا بالوعد الذي قطعناه
للملكة ، وارفض بكل أسف عرض السلطان ، فنحن
نرى ان هذه الملكة الشجاعة تناضل من اجل شعبها
ودينها ، ونحن نقدر كثيرا مثل هذه الحروب .



ولم يكذب يقترب منهم حتى انقض عليه بغته العم (جوشيا) مشهراً
سيفه ، وخلفه بعض الرجال ..

كان من المؤلم والعسير بالنسبة إلى أن اتخذ قرارى ، فقد كان يعنى التضحية تماماً بولدى ، من أجل التمسك بوعد لامرأة تحكم شعباً من الجبناء ، ولكن السلطان لم ينتظر جوابى ، وإنما قال فى أسف :

— كم تمنيت لو جاء جوابكم بغير هذا ، ولكن يبدو أنكم تحترمون الوعود كثيراً ، وتضحون بكل مرتخص وغال فى سبيل ذلك ، على أية حال استودعكم الله ، متمنياً لو أن (مجيدة) تحكم شعباً آخر ، غير هذا القطيع من الجبناء ، الذى لا يستحق شيئاً من مزاياها العظيمة .

ثم مد يده إليها ، قائلاً :

— هاتى يدك يا (أم النجاشى) .. ساعدوك إلى قومك .

ناولته كفها الرقيقة ، فقادها فى رفق إلى حيث قومها ، ولم يكذب يقترب منهم حتى انقض عليه بغته العم (جوشيا) مشهراً سيفه ، وخلفه بعض الرجال ، وهو يصيح :

— لقد وقعت يا (بارونج) .. اخضع لنا أو نقتلك .

كان السلطان قد تخلى عن سلاحه ، تعبيراً عن

حسن نيته ، وهو يقود (مجيدة) إلى قومها ، لذا
فقد احتقن وجهه غضبا ، وهو يصيح :

— ايها الجبان الخنزير .. لو اننى احمل سيفى
للقى احدنا مصرعه حتما ..

ثم التفت إلى (مجيدة) ، مستطردا :

— هذا الخلق الوضيع يشف عن جبن ، هو سر
احتقارنا لشعبك هذا .. اترين كيف يحاربون رجلا
اعزل ؟

صرخت (مجيدة) في عمها حانقة :

— اخفض سلاحك هذا يا (جوشيا) .. إنك
تجلب لنا العار بأسلوبك المشين هذا .
ولكن (جوشيا) هتف في عناد :

— الصيد ائمن من ان اتركه بهذه البساطة .

مال الكابتن على اذنى ، هامسا :

— سامنع هذه الخدعة القذرة ، وساطلق النار
على رأس (جوشيا) القذر هذا ، لو هم بمس
السلطان بأدنى سوء .

لم يكد الجاويش (كويك) يستمع إلى حديثنا
حتى وضع الفكرة موضع التنفيذ على الفور ، واطلق
النار بين قوائم جواد (جوشيا) ..

وجفل الجواد مذعورا ..

وسقط (جوشيا) أرضا ..

وفي غمرة الهرج الذى حدث ، اندفعنا نحو
السلطان ، واحطنا به وبجواده إحاطة السوار
بالمعصم ، حتى اخرجناه من وسط الحصار ،
وسلمناه إلى حارسيه ، اللذين كاد قلباهما يتوقفان
من شدة خوفهما على سلطانهما ، الذى قال لنا
في امتنان :

— إننى ادين لجراتكم وشجاعتكم بحياتى .
ثم نزع قلادته الفرعونية الذهبية القديمة ،
ووضعها حول عنق الجاويش (كويك) ، وانطلق
على جواده عائدا إلى حصنه ، بصحبة حارسيه ..
وهتفت (مجيدة) فى صرامة :

— سنتخذ طريق العودة .

وكالكلاب المذعورة ، وضع رجالها اذنانهم بين
سيقانهم ، واطاعوها صاغرين ..
وكان علينا ان نبدا مرحلة جديدة ..
ومخيفة ..

لم تكن نتصور ابدا ان طريقنا من السهول إلى مرتفعات (المور) وعمر على هذا النحو ، فقد كان الصعود أشق مما يمكن تصويره بكثير ، فالواضح ان هذا الطريق لم يصنعه بشر ، وإنما صنعه تدفق المياه من المرتفعات إلى البحيرات ، التي كانت تغطي فيما مضى السهول كلها ، قبل ان تقتصر على مساحة محدودة من الماء ، لا يتجاوز طولها الخمسة والعشرين كيلومترا ، ولا يزيد اتساعها على الخمسين كيلومترا ..

وهذا الطريق يتسع في بدايته ، بحيث يسمح بسير ثلاثة جياد متجاورة ، ثم لا يلبث ان يضيق ، حتى يكاد لا يتسع إلا لجواد واحد ، وترتفع على جانبي الطريق حوائط صخرية إلى عدة مئات من الأمتار ، وتبدو السماء فوقها كشريط أزرق ، وتعجز الشمس عن إلقاء ضوءها وسط ظلمة الممر ، إلا لحظات معدودات ، في منتصف النهار ..

وبين حين وآخر يختفى أحد الجدارين ، تاركا هوة سحيقة ، تتجاوزها الجياد وهي ترتجف ، عبر شريط الممر الضيق ، هذا إلى جانب عشرات

البوابات ونقاط الحراسة ، التي تضافرت مع عوامل الطبيعة ، لتمنع (الفنج) من غزو بلاد (الأباتى) ، على الرغم من جبن وضعف الفئة الأخيرة ..

وسار بنا الموكب العجيب ، يتقدمه نبلاء (الأباتى) على صهوات جيادهم ، تليهم فرقة مسلحة ، تتوسطها الملكة (مجيدة) ، ثم الحاشية والضباط ، ونحن بينهم ، وفي النهاية فرقة مسلحة أخرى ، عليها حماية المؤخرة طيلة الوقت ، حتى بلغنا بوابة (المور) في نهاية النهار ..

وكان المشهد رائعا ..

سلسلة من جبال تحيط بسهول واسعة ممتدة ، تناثرت فيها المزروعات والنباتات وأشجار النخيل ، وبينها أقيمت بيوت ومنازل متناثرة ، تحيط بكل منها حديقة أنيقة ، وعلى مدى البصر هناك بحيرة فضية ، التفت حولها أكواخ الرعاة والزراع ، على نحو يؤكد أن (الأباتى) ، على الرغم من عيوبهم ، فلاحون وزراع مهرة ..

واستقبلتنا جماهير المدينة استقبالا حافلا ، وراحت تهتف بحياة الملكة والقواد ، حتى بلغنا القصر الملكى ، ذا القباب الذهبية ، الذى اتاحت

لى زيارته من قبل ، ولم يكد يستقر بنا المقام فيه ،
حتى سال (جوشيا) (مجيدة) فى غلظة :

— هل سيقم ضيوفك فى مساكن الحجاج بالمدينة
الفريية ؟

كان يتحدث بأسلوب استفزازى متعمد ، إلا أن
(مجيدة) بدت هادئة ، وهى تجيبه فى بساطة :

— لا يا عماه .. سيقمون هنا فى قصرى .. فى
جناح الضيوف .

احتقن وجهه غضبا ، وهو يهتف مستنكرا :

— فى قصرى؟! .. محال .. محال .

سأله فى ضيق :

— لماذا يا عماه ؟

أجابها فى سخط :

— أنسى أنك لم تتزوجى بعد ، وأننى لا أقم

بالقصر لأسهر على حمايتك ؟

أجابته هى فى حزم :

— لم أنس هذا أبدا ، ولكننى أستطيع السهر

على نفسى ، وأرى أنه من الواجب أن يقيم ضيوفى

فى مكان آمن ، إلى جوار امتعتهم .. اذهب أنت

لتحصل على قدر من الراحة ، وسأرسل لك طبيبى

الخاص ، ولا تنسى أن تشكر الله على نجاتك من
المهالك .

امتقع وجه (جوشيا) لتلك السخرية المغلفة بإطار
مهذب أنيق ، وبدا وكأنه سيجيب بعبارة فظة ، لولا
أن غادرت (مجيدة) المكان فى خطوات سريعة ،
فضرب قبضته فى الحائط فى غيظ ، وانصرف خلفها
ناقما حاقدا ، ولم ينس فى انصرافه أن يرمق
الجائش (كويك) بنظرة قاسية ، تشف عن حقه
الخاص نحوه ؛ لأنه المتسبب فى وقوعه من فوق
صهوة جواده ، وإصابة ضلوعه بتلك الكدمات ..

ولكن هذا لم يقلق (كويك) كثيرا ..

لقد كان هناك أمر آخر يقلقه ..

أمر الكابتن (أورم) ، الذى كان قد أصيب بجرح
سطحى ، فى أثناء نسف سور (الفنج) إلا أن تلوث
هذا الجرح قد أصابه بحمى ، راحت تتزايد
تدرجيا ، حتى اشتدت وطأتها عليه مع بلوغنا
القصر ، فلم يكن منا إلا أن نقلناه إلى فراشه ، ورحت
أدويته بالماء واللبن ، حتى يشفى من الحمى ..

ولقد اهتمت الملكة (مجيدة) بأمره كثيرا ،
وارسلت تسال عن صحته مرتين ، طوال الليلة

التي سهرتها إلى جواره ، ولم تكد تشرق الشمس
حتى اصطحبت طبيبها الخاص إلى حجرة (اورم) ،
وسألتني في قلق :

— هل سيحيا ؟

اجبتها في خفوت :

— لا يمكنني البت في هذا الأمر حتى الآن ، فانا
أخشى أن يصاب بالتسمم من تلوث الجرح .

أدهشني أن تمت في جزع :

— انقذه أرجوك .. أبذل ما بوسعك لاجله ،
وسأمنحك كل ما تطلب .

ثم انتبهت فجأة إلى لهفتها البالغة ، فأضافت
في خفوت :

— اغفر لي ، فلقد نسيت أنه صديقك ، وأنت
لا تدخر جهدا لداواته .

طمأنها قائلا :

— سأبذل أقصى جهدي يا مولاتي .. اطمئني .
أما طبيبها ، فقد راح يتبارى معي في وصف
أنواع من الدواء والعلاج ، لو تناول منها (اورم)
جرعة واحدة لقضى نحبه على الفور ، لولا أن رحت
أستبدل بها أنا أدوية أخرى منطقية ..

ومرت ثلاثة أيام بطيئة ، امتلأت فيها نفوسنا
بالشك والقلق ، إلا أن الكابتن لم يلبث أن تمائل
للشفاء ، ولم تقو الملكة على كتمان سعادتها وسرورها
بذلك ، وراحت تولى (اورم) المزيد من العطف
والحنان ، حتى أنه لم يكذ يفادر فراشه سليما
معافي ، حتى راح يختلي بها كثيرا ، ويتبادل معها
الاحاديث الهامسة ، مما أصابني بالقلق ، فقلت
له مرة :

— حذار يا صديقي .. من الخطر على شاب
مثلك أن يوثق صلته بالملكة .

قهقه ضاحكا ، وقال :

— اطمئن يا صديقي ، فقوانين هذه المملكة تحتم
زواج الملكة من أحد أقاربها ، ومن المستحيل أن
ترتبط بي أنا .

ثم أضاف في جدية واهتمام :

— قل لي : هل بلغتك أخبار عن (هيجز) أو
ولدك (رودريك) ؟

قلت في ضيق :

— يلوح لي أنه من الأجدي أن تبلفني أنت
ما لديك من أخبار ، فأنت لصيق بالملكة ، وتعلم عنها
ما يجهله حتى عمها .

ابتسم وأجاب :

— لقد ابلغتني أن كليهما في صحة جيدة ، وأنهما يعاملان معاملة حسنة ، ولكن السلطان (بارونج) يعزم التضحية بـ (هيجز) بعد أسبوعين ، وأنا اعتزم بذل حياتي ، لو اقتضى الأمر ، في سبيل منع هذا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— وهذا هو محور احاديثي الهامسة مع (مجيده) ، بخلاف ما تصورت أنت .

قلت في اهتمام :

— يجب أن نتحرك على الفور ، فقد تم لك الشفاء ، ولم يعد هناك مبرر للتكؤ .

قال في حماس :

— سأبدل أقصى ما يمكنني لتخليص (هيجز) ، حتى لو اقتضى الأمر أن أبدله بنفسى ، عند سلطان (الفنج) .

ومال على ، مستطردا بمزيد من الحماس :

— استمع إلى .. ستعقد (مجيده) مجلسها الأكبر بعد ثلاثة أيام ، وستحاكم خلاله (القط) ، وأغلب الظن أنها ستحكم عليه بالإعدام ، وبعدها

سنعرض ما لدينا ، لنصل إلى قرار حاسم .

واعتدل في حزم ، مستطردا :

— ولنبدأ عملية الإنقاذ .. مهما كان الثمن ..

ودوت العبارة الأخيرة في رأسى ..

« مهما كان الثمن .. »

وارتجف جسدى في خوف ..

لم يرق لى أبدا ذلك الأسلوب ، الذى حضرنا به مجلس الملكة ، بعد مرور تلك الأيام الثلاثة ..

لقد قادنا الحرس إلى المجلس ، كما لو أننا نحن السجناء ، ووجدنا المئات من (الأباتى) هناك ، وقد جلسوا فى صفوف منتظمة ، أمام (مجيدة) ، التى جلست على عرش من ذهب ، ينتهى ذراعاه براسى أسدين ، وهى ترتدى ثوبا من خيوط الفضة اللامعة ، وتخفى وجهها بقناع موشى بنجوم فضية ، وقد أحيطت قمة رأسها بدائرة من الذهب ، تتوسطها ياقوتة حمراء ساطعة ..

وعلى الرغم من جسدها الضئيل ، بدت زهرة (المور) فاتنة ، ساحرة ، مهيبة ، وقد وقف جنودها المدججين بالسلاح خلف عرشها ، فى حين أحاط بها قوادها وضباطها وقضاتها ، فى ثيابهم الرسمية الأنيقة ، وعدد من وصيفاتها فى أبهى حللهن ..

وطالت محاكمتنا ، وانكر (القط) التهم الموجهة إليه ، وتم استدعاؤنا للشهادة ، وفى النهاية صدر الحكم بإعدام (القط) ، جزاء خيانتة ، ومصادرة ممتلكاته ، وأن تصبح زوجته وأولاده عبيدا أرقاء ..

كذلك صدر الحكم على كل من شارك (القط) فى مؤامراته بالتجرد من الأملاك ، والالتحاق بالجندية ..

وانتهت المحاكمة بين نحيب وعويل المتهمين وأقاربهم ، وأصابتنا الدهشة من أساليب (الأباتى) وأحكامهم ، وهتف الكابتن مستنكرا :

- أى خير فى أمة يعاقب مجرموها بالجندية بدلا من السجن .

غمغمت محاولا تهدئته :

- هكذا أساليبهم .

هز رأسه فى قوة ، مستنكرا ومعترضا ، إلا أنه لزم الصمت ، ولم يشر إلى هذا الأمر مرة ثانية ، حتى حانت الاستراحة ، فتقدمت نحو سليلة الملوك ، ووضعت خاتم (بلقيس) على وسادة حريرية ، قدمها لها أحد ضباطها ، وأنا أقول :

- أيا سليلة الملوك وزهرة (المور) .. يشرفنى أن أعيد إليك خاتمك ، الذى يحمل دلائل الثقة المتبادلة بيننا ، والذى استطعت بواسطته حمل زملائى وأصدقائى على اصطحابى فى رحلتى إلى هذه الجهات النائية ، إلى الحد الذى أوقع بأحدهم فى أسر وعبودية (الفنج) .

تناولت (مجيدة) الخاتم ، وألقت عليه نظرة سريعة ، ثم أرتته لكهننتها ، قبل أن تقول في هدوء :
- شكرا لك ان أعدت هذا الكنز الأثري الغالى لى ولرعتى أيتها الطبيب .

ووضعت الخاتم فى إصبعها ، واستطردت :
- أنتم تعرفون قضيتنا أيتها النبلاء .. (الفنج) يحيطون بنا ، ويتهددوننا بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وكما أخبرت الطبيب من قبل ، إننى أسعى إلى هدم معبد (الفنج) ومعبودهم ؛ لأن هذا - فى عقيدتهم - نذير لهم بالهجرة من هذه الأرض إلى بلاد أخرى ، طبقا لنبوءة وثنية قديمة .

قاطعها (أورم) :

- معذرة يا زهرة (المور) ، ولكنك سمعت مثلنا (بارونج) ، سلطان (الفنج) يهدد بالانتقام لهدم معبده ومعبوده .

ترددت همهمة ذعر وفزع بين الحاضرين ، إلا أن (مجيدة) ظلت على هدوئها ، وهى تقول :
- الأقوال غير الأفعال ، وهؤلاء الوثنيون يؤمنون بالنبوءة إيماناً مطلقاً ، وسيدفعهم هذا إلى الهجرة فور تهدم معبودهم ، حتى ولو شاء ملكهم غير هذا .

ثم اعتدلت ، مستطرده :

- والآن .. هل تقسمون على خدمتى ؟
مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الكابتن :
- ينبغى أن نعرف المطلوب منا أولا .
قالت عالية الرأس :

- أقسموا على خدمتى ، والحرب من أجلى ، والخضوع لقوانينى ، وأن تبذلوا أقصى جهدكم لتدمير معبد (الفنج) ومعبودهم ، ولكم بعد ذلك مطلق الحرية فى البقاء أو الذهاب حيثما تشاءون ، مع مكافأة تبهر الأنفس .

ساد الصمت لحظات أخرى ، بدا خلالها أن الكابتن يفكر فى عمق ، قبل أن يسأل فى اهتمام :-

- وأية مناصب سنشغلها لو فعلنا ؟

أجابته فى حزم :

- ستكون القائد الأعلى لهذه الحرب ، وستختار أنت المنصب الذى يعمل فيه زميلاك .

سرت زمجرة غاضبة بين قوادها ، وارتفع من بينهم صوت يقول :

- اتعنين أننا سنضطر لطاعة هؤلاء الأجانب ؟
التفتت إلى مصدر الصوت ، وقالت فى صرامة :
- نعم .. ستفعلون هذا ، إلا إذا استطعتم إعداد

تلك المواد المتفجرة واستخدامها ، وهدم جزء من
أسوار (هرمق) مثلهم .. هل تستطيع هذا
يا عماء .

عقد العم (جوشيا) حاجبيه ، وصمت في غضب ،
في حين سأل الكابتن الملكة في اهتمام :

— لقد جعلتني قائدا على جنودك يا مولاتي ،
ولكن أخبريني ، هل سيطيعونني ؟ .. هل يحمل
كل منهم سلاحه ؟ .. ثم من هم جنودك ؟

تطلعت إليه لحظات في صمت ، ثم أجابت في
حزن :

— لا يمكنني منحك جوابا منطقيا ، بالنسبة
للسؤال الأول ، فسيعود أمره إليك وحدك ، أما
بالنسبة للسؤالين الآخرين ، فالواقع انه كان لجذاتي
وأمهاتي جنود أشداء فيما مضى ، أما الآن فجنودنا
ضعفاء جبلاء ، والسلاح لا يكاد يكفي ثلثهم ، وهو
لا يعدو الرماح والسهام والاقواس ، و ...

اختنق صوتها في حلقها ، حتى انها لم تستطع
إتمام حديثها ، ثم لم تلبث ان انفجرت بغتة باكية
وسط مجلسها ، فسمعت الجاويش (كويك) إلى
جوارى يتمتم :

— اللهم عاون هذه الملكة الوحيدة المنكوبة
بشعبها .

وهنا نهض الأمير (جوشيا) ، واتجه إليها ، وركع
أمام عرشها ، وهو يقول في صوت حمل الكثير من
انفعاله :

— لماذا تحزنيننا بهذه العبارات يا سليلة الملوك ؟
السنا في حمى (سليمان الحكيم) ؟
تمتمت من وسط دموعها :

— (سليمان) لا يحمى إلا من يحمون أنفسهم .
أشار إلى صدره ، قائلا :

— اليس لديك قواد شجعان ؟ .. اليس لديك
عمك وابن عمك ؟

غمغمت في مرارة :

— وماذا يفعل القادة بلا جنود ؟
قال في حدة :

— لقد رايت بنفسك كيف كنت على وشك ذبح
(بارونج) ، لولا تدخل ضيوفك البيض .

انتفضت في مجلسها ، وقالت في صرامة :

— وكنا سنخسر شرفنا أيضا يا عماء .

ثم رفعت ذراعها في حدة ، هاتفة :

- لقد انفض المجلس ، وليحضر الكاهن ليقسم
البيض امامه .

برز من خلف العرش رجل مهيب الطلعة ، واضح
الوقار ، تلتمع تحت لحيته البيضاء الجواهر
والاحجار الكريمة ، ويحمل في يده اسطوانة ورقية
ملفوفة ، كتبت عليها كل قوانين (الاباتى) ، منذ عهد
(سليمان الحكيم) ، ووضع الرجل الاسطوانة
الورقية امامنا ، وطالبنا بإلقاء القسم ، فقال الكابتن
في حزم :

- قبل ان نقسم ، نحب ان تؤكد ان ولاءنا الاول
لوطننا ومليكنا ، ثم اننا نريد تعهدا من الملكة
بمساعتنا على إنقاذ زميلنا الأستاذ (هيجز) ، وابن
الطبيب (رودريك) ، الذى يطلقون عليه اسم (مطرب
مصر) .

اجابت الملكة بلا تردد :

- لكم هذا .

وعندئذ اقسمننا قسم الملكة ..

اعتدنا مع مرور الوقت نوم القيلولة ، الذى
يقدهه شعب (الاباتى) كثيرا ، وفي يوم القسم ،

استيقظت في الرابعة عصرا ، على صوت نباح
(فرعون) ، فنهضت استطلع الامر ، ووجدت امامى
رجلا يرتجف خوفا من الكلب ، فسألته في صرامة :

- من أنت ؟

اجابنى في سرعة :

- اننى رسول الملكة ، وهى تسال عما إذا كنتم
ترغبون في مرافقتها إلى مكان لم تروه من قبل .

وافقته على الفور ، والتقيت مع (أورم) و (كويك) ،
ورافقنا الرسول إلى فناء مهجور خلف القصر ،
حيث وجدنا الملكة فى انتظارنا ، مع ثلاث من
وصيفاتها ، وعدد من الرجال يحملون المشاعل ، ولم
تكذ ترانا حتى رفعت نقابها ، وابتدرتنا قائلة :

- لا ريب انكم قد رايتم الكثير فى حياتكم ، عبر
رحلاتكم المختلفة ، ولكننى سأريكم اليوم أغرب شئ
فى حياتكم كلها .

تبعناها إلى بهو كبير ، فى نهايته باب ضخم ، رفع
الرجال مزاليجه ، فعبرناه إلى ممر طويل ، منحوت
فى الصخور ، واغلق الرجال الباب خلفنا ، ومضينا
فى الممر حتى بلغنا مغارة ..

بل هى أضخم مغارة رايتها أو سمعت بها من
قبل ..

وقالت (مجيدة) ، وهى تلوح بمشعل فى يدها :
- ها هو ذا كهف (المور) ، الذى نعتقد انه كان
معقل اجداد (الفنج) فيما مضى ، اما هذه الجدران
والاطلال هناك ، فقد كانت مخازنهم ومعابدهم ،
ولكن زلزالا حطم كل هذا ، ودفعهم إلى الهجرة ..

تبعناها ثانية إلى أعماق الكهف الهائل ، ومشاعلنا
تبدو داخله كنجوم خافتة ، عاجزة عن تبديد ظلمته ،
من شدة ضخامته ، حتى بلغنا مكانا به اطلال واعمد
متهدمة وتتوسطه عدة تماثيل محطمة ، مغطاة بطبقة
كثيفة من الأتربة ، لم تخف تماما شكلها الشبيه
ب (أبى الهول) ، فتهد (أورم) ، وقال :

- ليت (هيجز) هنا .

وبعدها قادتنا (مجيدة) إلى نبع يتدفق فى قوة ،
وقالت فى اسف :

- كان (الفنج) يستخدمون هذا الكهف كمخزن
للمؤن ، فى حالة الحصار ، ولقد حاولت إقناع
شعبى باستخدامه لهذا الغرض ، ولكن كل من
الكبار يتردد فى التضحية ببعض إنتاجه كمخزون ،
وهكذا لن ينقذنا شئ من الموت جوعا ، لو احتل
(الفنج) سهولنا .

سارت امامنا ترينا إسطبلات الخيل ، التى كان
(الفنج) القدماء يحفظون فيها جيادهم وعرباتهم ،
ورحنا نمبر عدة ممرات ، انتهت إلى طريق واسع ،
فى نهايته جدار أبيض ، لم يكد يراه اتباع الملكة حتى
علا الرعب وجوهم ، فتقدمت هى إلى الجدار ،
ونزعت منه حجرا كبيرا فى سهولة ، وقالت
لوصيفاتها :

- كلكم تعتقدون أن هذا الجدار يسكنه الجن ،
وتحوم حوله الأرواح ؛ لذا فسأترككم هنا فى حراسة
الرجال ، وسأصحب الضيوف إلى داخله ، لاثبت
لكم خطأ هذا الوهم .

وتناولت يد (أورم) ، وعبرت معه ثغرة الجدار
فى هدوء ، وتبعتهما أنا والجوايش ، فوجدنا أنفسنا
فى كهف آخر ، ترتفع حرارته قليلا ، وسألها الكابتن :

- ما هذا المكان ؟

أجابته فى هدوء :

- مقبرة ملوك (المور) القدامى .

سرت فى جسدى رهبة من وقع الجواب ، ورحنا
نسير وسط السكون ، ووقع أقدامنا يبدو واضحا
على الأرض الصلبة ، والخفافيش تحوم حول ضوء
المشاعل مضطربة خائفة ، وترطم بالجدران ، حتى

عبرنا المكان إلى ما يشبه ساحة قتال ، في مواجهتها
عرش ضخم من الحجارة ، اتجهت إليه (مجيدة) ،
ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة :
- انظروا .

بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش
الحجري ، يعلوها تاج من الذهب ، وأمام العرش
صولجان وخواتم وحلى من الذهب والمجوهرات ،
وحوله عدد ضخم من العظام والجماجم البشرية ،
أسفل كل منها الحلى التي كان يتزين بها أصحابها
في الدنيا ، وإلى جوارها أوان من الذهب ، تكتظ
بالحلى والقلادات والأحجار الثمينة ، وأكوام من
نقود فضية وذهبية قدم عهدا ، وبطل تداولها ،
ولما رأتنا (مجيدة) مدهوشين مشدوهين ،
أشارت إلى كل هذا ، قائلة :

- الجالس على العرش هو الملك ، وحوله ضباطه
وحراسه ونساؤه ، وقد ذبحوا إلى جوار جثته ،
ليسهروا على رعايته في الحياة الأخرى ، وهذه
حليهم ومجوهراتهم .

ثم أشارت بيدها ، مستطردة :
- هيا لتشهدوا باقى الملوك .



ورفعت مشعلها أمامه ، قائلة :
- انظروا .
بدت لنا كومة من العظام البشرية فوق العرش الحجري ..

رحنا ننتقل من عرش إلى عرش ، ومن كنز إلى كنز ، حتى أصابنا السام من تكرار المشاهد ، ولم يثر انتباهي سوى آنية احتشدت بآلات جراحية قديمة ، وعلمت أن العظام التي أمامها هي عظام طبيب أحد الملوك ، فملأت جيبى ببعض هذه الآلات القديمة ، لمقارنتها بآلاتنا الحديثة ، وشعرت (مجيبة) بما أصابنا من تعب وملل ، فقالت :

— سنعود الآن ، ولكن بقى أن تعلموا أن هذه الصخرة الضخمة أمامنا هي الحاجز الذى يفصلنا عن معبود (الفنج) ، ونحن نعجز عن اجتيازها ، ولا نعلم إلى أى مدى تمتد .

عدنا ادراجنا بين العظام والجماجم ، وفى طريق العودة سأل الكابتن الملكة :

— ولكن أين تدفنون موتاكم حاليا يا سيدتى ؟
اجابته :

— فى الخارج ، فلم اكشف هذا المكان إلا منذ أعوام قليلة ، ولكن بالنسبة إلى أتمنى أن أدفن فى السهول ، لأقضى حياتى الآخرة بين الحشائش والزهور .

وفجأة انطفأ المشعل الوحيد لدينا ، وساد الظلام تماما ..

وسط القبور ..

كان موقفا مربعا بحق ، أن نجد أنفسنا وسط الموتى ، فى ظلام دامس ، ولقد صاحت (مجيدة) مدعورة :

— يا إلهى !! .. نسينا أن نحضر مصباحا آخر ..
أسرعوا ، فما زلنا بعيدين عن مدخل المفارة .

راحت تعدو ممسكة بيد الكابتن ، وأنا والجاوليش نتعثر خلفهما ، فى محاولة للحاق بهما ، وسمعنا الكابتن يهتف بنا :

— ابقيا فى مكانكما ، سنعود إليكما ، ولكن أطلقا صيحة بين وقت وآخر ؛ لتعرف موقعكما فى سر .

اجابه الجاوليش (كويك) :

— سنفعل يا سيدى .

تردد صدى الأصوات من حولنا ، فارتجف قلبى رعبا ، وأطلق (كويك) ضحكة عصبية ، وهو يقول :

— ليس للموتى أصوات .. إنما هو صدى
أصواتنا .

حاولنا أن نبقي في أماكننا ، كما أمرنا الكابتن ،
ولكن الرعب لم يمكننا من هذا ، فرحنا نتقدم في
بطء ، وارتطمت قدم الجاويش بجمجمة ، وسقط
أرضا ، فاطلق صيحة رددت الجدران صداها ،
فانحبست أنفاسنا في رعب ، وجلسنا نلهث لحظة ،
بدت لنا أشبه بدهر كامل ، قبل أن يهتف (كويك) :
— يا إلهي !.. لقد نسيت أنني أحمل في جيبى
علبة ثقاب ..

أخرج العلبة من جيبه ، وأشعل أحد أعوادها ،
ثم شهق مبهورا ..

لقد رأينا أمامنا مذبحا ذا درجات ، لم ننتبه إليه
من قبل ، وعلى أول درجاته ، كانت (مجيدة) بين
ذراعى الكابتن ، الذى انحنى على شفتيها ، والصق
بهما شفتيه ، وهى تتركن برأسها على صدره ، دون
أن تبدو منهما حركة واحدة ، وكأنما استحالا إلى
تمثالين من الرخام ..

ثم سعل (كويك) ، وهتف :

— كم يسعدنى أن عثرنا عليكما يا كابتن ..

يا إلهي !.. هل فقدت الملكة وعيها .. دعنى أعاونك
يا سيدى .

التفت إليه (أورم) كالذاهل ، وصدق فى وجهه
لحظات فى صمت ، ثم بدا وكأنما يستيقظ مع
(مجيدة) من سبات عميق ، وهو يهتف :
— لا .. لا داعى لذلك .

ثم نهض يعاون الملكة على النهوض ، وانطلقنا جميعا
نجتاز الكهف إلى الخارج ..
وعدنا إلى القصر ..

وقبل أن نستسلم للنوم ، قال (أورم) فى لهجة
حالة :

— يا لها من رحلة رائعة فى غياهب المجهول ! ،
ويا له من فارق رهيب بين الموتى القدامى ، وسليتهم
المفعمة بالحياة والحب !!

بدا لى أنه من الأفضل أن أواجهه بالموقف بكل
صراحة ، فقلت :

— الواقع أننى قد تصورت ، عندما أشعل
(كويك) عود الثقاب ، أنك و (مجيدة) كنتما ...

ترددت فى إتمام العبارة ، فقال هو فى حزم :
— لم تكن وأهما .. لقد كنت أقبليها ، فقد فجر

الموقف والظلام عواطفنا المكبوتة ولم نستطع كتمان
مشاعرنا .

لذت بالصمت لحظات ، ثم غمفمت :

- يسعدنى أن ربط الحب بينكما يا صديقى ،
ولكننى أخشى مغبة هذا .

قال كالحالم :

- إنها أجمل عادة وقعت عليها عيناي ، فى الدنيا
كلها يا (آدمز) ..

لحظتها ايقنت من انه لا فائدة .. لقد ربط الحب
بينهما ، ووقع وثيقة موتهما ..

وارتجف قلبى بين ضلوعى ..

وهوى ..

٦ - الأسود ..

لم نكد ننتهى من تناول إفطارنا فى الصباح ، حتى
أتى رسول مكة يدعونا لمقابلتها ، فذهبنا إليها ،
ونحن نتساءل عن سر دعوتها لنا ، وعندما اجتزنا
الممر الطويل ، الذى يقود إلى بهو العرش ، ملت على
أذن (أورم) ، وهمست فى قلق :

- استحلفك بالخالق أن تلتزم بكل الحذر
يا رجل ، وأن تخفى مشاعرك تجاهها الآن ،
فسيراغبون وجهك كما يراقبون كلماتك .

تخرج وجهه قليلا ، وغمغم :

- اطمئن .

تمتت قلعا :

- كم أتمنى أن افعل .

استقبلتنا الملكة باسمه الشفر ، متهللة الأسارير ،

وقالت :

- لقد دعوتكم لسبب هام ، فعندما هممنا

بإعدام (القط) الخائن ، تضرع لنا أن نبقي على

حياته ، حتى يمكنه أن يدلى إلينا بسر هام خطير ،

قد يساعدنا على إنقاذ زميلكم (هيجز) .

هتفنا أنا والكابتن في آن واحد :

— كيف ؟!

هزت رأسها قائلة :

— لست أدري ، ولكنني رأيت أنه من الحكمة
أن أرجىء قتله ، حتى تستمعا منه إلى ما لديه .
وأشارت بيدها ، ففتح باب جانبي ، دلف منه
(القط) ويداه مقيدتان خلف ظهره ، وقدماه
مربوطتان بسلسلة من الصلب ، واندفع نحو الكابتن
مستعظفا ، ولكن الحراس دفعوه أرضا في عنف ،
وقالت الملكة في صرامة :

— ما الذي تريد أن نخبرنا به أيها الخائن ، قبل
أن تلقى جزاءك ؟

قال وهو يرتجف :

— إنه سر بالغ الخطورة يا مولاتي ، فهل اتحدث
به أمام الجميع .

صمتت لحظة مفكرة ، ثم قالت :

— لا .

وامرت الحراس ومعظم الحاضرين بمغادرة المكان ،
ثم التفتت إلى (القط) ، قائلة :

— هات ما لديك .

ازدرد (القط) لعبابه في صوت مسموع ، وقال :

— الإنجليزى (هيجز) مسجون في المعبد
الكبير .

سألته أنا :

— كيف عرفت ؟

أجاب :

— أنا أعلم هذا جيدا ، واستطيع أيضا أن
أدلكم على طريق خفى إلى المعبد ، يمكننا بواسطته
أن ننقذ (هيجز) من سجنه . . لقد أطلقوا على لقب
(القط) ؛ لأننى اتسلق الجدران في خفة ويسر ،
وعندما ألقى (الفنج) القبض على ، القوا بى طعاما
للأسود ، ولكننى نجوت بمعجزة ، واستطعت
الفرار ، بعد أن أصابتنى مخالب لبؤة بهذا الجرح
في وجهى .

وراح يشرح ما ينبغى عمله ، حتى هتف الأمير
(جوشيا) :

— إننى اعترض على أن تقحم مليكتنا نفسها في
مثل تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، والتي قد
تنطوى على هلاك ودمار .

اجابته في هدوء :

- اشكر لك قلقك على يا عماء ، ولكن إصرارى على خوض هذه الرحلة لا يعود إلى رغبتى فى إنقاذ الأبيض فحسب ، وإنما إلى وجود طريق سرى إلى معبد (الفنج) ، ينبغى لى أن أعرفه ، وعلى الرغم من ذلك فأنا أوافقك على ضرورة ذهابى مع حماية أو حراسة ؛ لذا فأنا أرجو أن ترافقنى فى رحلتى . ارتبك العم ، وراح يلتمس الأعذار والأسباب ، حتى قاطعته هى فى حزم :

- لقد سنحت الفرصة لتثبت شجاعتك ومهارتك وجراتك ، التى طالما تحدثت عنها يا عماء .. إنك ستذهب معنا .. هذا امر .

ولم يكن أمامه سوى القبول ..

قادنا (القط) ، عصر اليوم نفسه ، عبر ممرات جبلية طويلة ، إلى قمة جبلية ، تشرف على هوة سحيقة ، يبلغ عمقها ألفين وخمسمائة متر تقريبا ، ولا سبيل إلى بلوغ قاعدتها - حسبما رايت - حيث تكثر السهول ، ولكن (القط) اتجه إلى جدار صخرى ، نبت العشب فوقه ، وأزاح منه حجرا

كبيرا ، فأنكشفت لنا فجوة واسعة ، تمتد إلى ممر طويل ، وهو يقول :

- لقد كشفت هذا الممر منذ كنت صبيا ، ولتبعنى فيه من يجد فى نفسه الشجاعة الكافية ، فهو شديد الوعورة والانحدار .

راح (جوشيا) يتضرع إلى (مجيدة) أن تتنازل عن فكرة خوض الممر ، ولكنها أجابت فى عناد وإصرار :

- ولماذا أتردد أو أخاف ، ومعنا خيرة رجالنا فى تسلق الجبال ، ثم إن الطبيب ، الذى يبلغ عمره مثل عمر أبى ، لم يتردد فى المخاطرة ، فكيف أفعل أنا ؟ هيا يا عمى .. لا تتردد .

اضطر (جوشيا) إلى رفقتنا مرغما ، واتصلت الجبال بيننا جميعا ، وتقدمنا (القط) والجاويز ، ثم عدد من متسلقى الجبال ، يحملون السلالم والمصاييح والوقود والطعام وخلافه ، ثم الملكة والكابتن و (جوشيا) ، وخلفهم عدد آخر من متسلقى الجبال ..

ورحنا نهبط درجا شديدا الانحدار ، انحنى إلى آخر أشد رطوبة عند الشرق ، وكاد (جوشيا)

يقتلنى ، عندما انزلت قدمه ، فتشبث بذراعيه
فى رقبتي خشية السقوط ، وكاد يقتلنى خنقا ، لولا
ان اسرع احد متسلقى الجبال يبعده عنى ، فاصرت
ان يتقدمنى ، حتى لا تتكرر المأساة ..

وعندما بلغنا المنحدر الثالث ، كان التعب قد بلغ
من (جوشيا) مبلغه ، فاقسم الا يخطو خطوة واحدة ،
وفشلت محاولتنا وتأكيدات (القط) فى إقناعه
بالعدول عن قسمه هذا ، حتى قالت (مجيدة) فى
حزم :

- لا بأس ، فلتبق فى مكانك هذا حتى نعود ،
وليس هناك ما تخشاه ، فلن تهاجمك الوحوش .
تمتم فى سخط :

- يا لك من امرأة لا قلب لها !! .. اتركين عمك
وحيدا ، فى هذا الجحر المسكون ، فى حين تتسلقين
انت الصخور كقطة مسعورة ، مع جماعة من
الاجانب ؟ .. اما كان ينبغى ان تظلى إلى جوارى ؟
هتفت فى صرامة :

- ليقال إن سليله الملوك قد جنت عن الذهاب
حيث ذهب الغرباء .. لا يا عماه .. لا والى لا .
لم يسهه إزاء حزمها وصرامتها إلا ان يعود
لمرافقتنا ، وإن اضطر متسلقو الجبال لحمله طيلة

الطريق ، حتى بلغنا هضبة صغيرة ، تسالت إليها
طلائع الفجر الاولى ، وانتشرت فى أرجائها اشجار
واعشاب وطحالب ، نمت إلى جوار صخور ضخمة ،
اشارت إليها الملكة ، قائلة :

- ما هذا ايها (القط) ؟

اجابها :

- إنه ظهر المعبود الكبير لـ (الفنج) يا سليله
الملوك .. إنه على هيئة أسد ضخم ، وذلك العمود
هو ذيله ، وهذه الهضبة التى تقف عليها كانت فيما
مضى نقطة مراقبة لكهنة (الفنج) ، عندما كانوا
يملكون ارض (المور) ايضا ، وهناك جسر يهبطون
منه إلى ذيل المعبود .

همست (مجيدة) إلى الكابتن :

- يبدو انه يتصل بـ (الفنج) ، عبر هذا
الطريق .

ثم سألت (القط) :

- لماذا جئت بنا إلى هنا ؟

اجابها :

- لننقذ الإنجليزى ، فمن عادة (الفنج) ان

يسمحوا للمسجونين بالتجوال عند الفجر والغروب ،
وأرى أن نهبط إلى ذيل المعبود ، حتى نلتقى
بالإنجليزى وننقذه ، والأفضل أن يصحبني الكابتن ،
حتى لا يستريب (هيجز) .

هتفت الملكة مستنكرة :

— أيها الأحمق .. اتصور أن يخاطر الكابتن
إلى هذا الحد ؟

قال (القط) في خبث :

— هل تشكين في شجاعته ؟

هتف به الكابتن :

— ويلك أيها الوغد ! .. إياك أن تسىء إلى
شجاعتي ، ولكنك قد ترمى بذلك إلى مكيدة ،
تسلمني بها إلى (الفنج) .

صاحت (مجيدة) بالكابتن :

— من الجنون أن تلقى بنفسك من الجبل ،
وانت توقن بأنك ستتهدم أرضا .

قال عمها في لهجة ساخرة :

— ولكننا سمعنا الكثير عن شجاعة الأجانب ، فلم
لا تمنحهم الفرصة لإثبات هذا ؟

التفتت إليه نائرة حانقة ، وقالت في حدة :
— اليس من الأفضل أن يثبت صاحب الدم
النبيل أنه لا يخشى إتيان ما يقدم عليه الغرباء ؟

شحب وجه عمها ، وانكمش على نفسه في خوف ،
فابتسم (أورم) في سخرية ، وانحنى بنزع حذاءه ،
وهو يقول :

— إننى أفضل السير بالجورب ، في المناطق
الوعرة ، ولا يقلقنكم أمرى ، فلقد اعتدت المخاطرة
منذ صباى .

غمغمت الملكة في قلق :

— ولكن هذا يفوق كل ما فعلت بالتأكيد .

أما الجاويش (كويك) ، فقد انحنى يخلع حذاءه
بدوره ، مما جعلنى أسأله في دهشة :

— ماذا تفعل ؟

أجابنى في حسم :

— سأرافق الكابتن .

قلت في عناد :

— بل سأرافقه أنا ، فلست أقلكما استهانة
بالمخاطر .

قاطعنا الكابتن صائحا :

- كفى .. انا القائد هنا ، وستطيعان أوامرى
بلا مناقشة ، وأنا امنعكما من مرافقتى .
قالت الملكة :

- فليرافقك أحد متسلقى الجبال إذن .

والتفتت إلى أحد رجالها ، قائلة :

- تعال يا (جانيت) ، ورافق السيد ، وأعدك
أن أهب لك أو أهب إلى ورثتك قطعة أرض كبيرة ،
لو أديت مهمتك كما ينبغى .

القينا سلما من الجبال إلى ذيل الأسد الحجرى ،
ورحت استطلع المنطقة بمنظارى المقرب ، حتى لاح
لى شبح أبيض عند رأس المعبود ، ورجحت أن يكون
(هيجز) ، إلا أنه لم يلبث أن رفع عقيرته بغناء
شجى رخيم ، جعلنى اهتف فى انفعال :

- إنه ولدى .. حمدا لله .. إنه لا يزال حيا ..
آه لو نستطيع إنقاذه أيضا !!

وسات الدموع على وجهى ، فربت الجاويش
(كويك) على ظهري ، وهو يقول :

- اهدأ أيها الطبيب ، ولتحمد الله على أنه ما زال
يحمل رأسه على كتفيه .

ويبدو أن تهدئته هذه لم ترق لـ (القط) ، فقد
قال فى برود :

- إنها ساعة إطعام الأسود المقدسة الآن ،
و (الفنج) يحتفظون بها داخل مغارة ، عند قاعدة
المعبد ، ولا بد أن نعمل على إنقاذ الاستاذ الليلة ،
فسيحتفلون بعيدهم ، وسيقدمونه قربانا لآلهتهم
عندما يصبح القمر بدرا .

قالها وحاول أن يهبط سلم الجبال ، ولكن (مجيدة)
صاحت :

- لا .. لن يعود هذا الخائن إلى أصدقائه
(الفنج) .. انزل أنت أولا يا (جافيت) ، وسيتبعك
الكابتن .

راقبنا (جافيت) فى قلق ، وهو يهبط السلم ،
متحسسا مواضع قدميه فى حذر ، حتى بلغ الصخرة
المنشودة ، وهنا استدار الكابتن يصافحنى ويصافح
(كويك) ، ثم انحنى للملكة ، التى شحب وجهها ،
وبدا اضطرابها وحبها واضحين ، وهى ترد تحية
(أورم) ، الذى اتجه إلى السلم وراح يهبط فى
شجاعة وثقة ..

وفجأة انكسرت درجة السلم ، التى يضع ثقله
عليها ..

وهوى من حلق ..

كانت لحظة وثبت فيها قلوبنا من بين ضلوعنا ،
ولهت فيها الملكة المحبة بفؤاد مزقه الهلع وأدمته
اللوعة ، وبدا لنا جميعا أن (أورم) قد انتهى ..
ولكن شاء له القدر أن يحيا ..

وبحركة سريعة ، دفعته إليها غريزة البقاء ،
قفزت يده تتعلق بدرجة سليمة من درجات السلم ،
وتشبث بها في قوة ، وراح يلهث من فرط الانفعال ،
في حين تنفسنا نحن الصعداء ، وتمنيت لو لم يلحظ
(جوشيا) دموع الارتياح والسعادة ، التي سالت
من عيني الملكة ، ولكن زهرة (المور) لم تلبث أن
جففت دموعها في سرعة ، واعتذلت في وقفتهما في
حسم ، وهي تواصل مراقبة الكابتن ، الذي بلغ
موضع (جافيت) ، فاحتضنه هذا الأخير في سعادة
واضحة ، وراح الاثنان يتسلقان المنحدر الصخري
الأملس ، حتى بلغا كتفى الأسد ..

وفي تلك اللحظة ظهر الأستاذ (هيجز) ، وهو
يسير الهوينى ويدون شيئا ما في مفكرته ، بكل
البساطة والهدوء ، وهنا تقدم إليه (أورم) ،
وأمسك ذراعه في قوة ، فالتفت إليه (هيجز) ،
وحدق في وجهه في ذهول ، ثم انحنى الكابتن على
أذنه ، ورايته يهمس بأمر ما ، علمت فيما بعد أنه

كان سؤالا عن موضع ابني (رودريك) ، ثم رايت
الأستاذ يلوح بيده في اهتمام ، ويختفى خلف رأس
المعبود ، ومضت دقائق من السكون ، ثم تناهت إلى
أسماعنا أصوات وصيحات عالية ، وراينا الأستاذ
يعدو بكل قواه صائحا في الكابتن و (جافيت) :
— اهريا .. أنجوا بنفسيكما من هؤلاء
المتوحشين .

أسرع الكابتن و (جافيت) يتسلقان السلم ،
ورأى الكابتن بعض (الفنج) يتسلقون خلفهما ،
فأخرج مسدسه ، وأطلق النار على رعوس بعضهم ،
فسقطوا صرعى ، ورأى الباقيون مصرع زملائهم ،
فلاذوا بالفرار ، وهم يطلقون صيحات مخيفة ..
ولم يكد الكابتن يصعد إلينا حتى ألقي نفسه
أرضا ، وأخفى وجهه بين يديه في ألم ومرارة ،
فربتت (مجيدة) على كتفه ، وقالت في حنان :
— لماذا يا عزيزي؟! .. لقد كنت شجاعا
صنديدا ، وعدت إلينا حيا ، وهذا يكفي .

هتف في مرارة :
— ولكنني تركت أخي وصديقي (هيجز) خلفي ،
وسيلقونه الليلة للأسود ، ولقد أخبرني هذا
بنفسه ، وكان يكتب وصيته عندما لقيته .

لم تجد ما تجيبه به ، فالتفتت إلى متسلق
الجبال ، وقالت :

— إننى فخورة بك يا (جافيت) ، وسأجزل لك
العطاء ، وأجعلك قائدا لمتسلقي الجبال .

تهللت أسارير (جافيت) فى سعادة ، فى حين
سالت أنا الكابتن :

— ماذا حدث مع (هيجز) ؟

أجابنى والحزن لم يفارق صوته بعد :

— لم أكد التقى بـ (هيجز) حتى سألته أن يرشدنا
إلى موضع ولدك ، ولكن الحراس رأوه يتحدث
إلينا ، فكان ما كان .

ثم التفت إلى (القط) ، وأمسكه من عنقه ،
قائلا فى غضب مخيف :

— والآن حذار أن تكذبنا القول أيها الوغد .
لقد أخبرتنا أنهم قد القوك طعاما لأسودهم ، ولكنك
نجوت ، فكيف كان هذا ؟

هتف (القط) فى صوت مختنق :

— ارفع يدك عن عنقى ، وأقسم أن أخبرك بكل
ما حدث .

ترك الكابتن عنق (القط) ، الذى سعل فى شدة ،
ثم أجاب :

— لقد حملنى (الفنج) إلى مكان إطعام الأسود ،
والقونى بين اللحوم المقدمة لها ، ثم رفعوا أبواب
الأسود بسلاسل تجذب من أعلى ، وانطلقت أنا
أعدو نحو التلال ، فى محاولة للنجاة ، ولكن أبوة
تبعتنى ، وصفعتنى على وجهى بمخالبها ، التى تركت
فى وجهى هذا الأثر ، ودفعتنى جنون الرغبة فى الحياة
إلى أن ألقى بنفسى فى الهاوية ، فرحت أنحدر فيها ،
وأنا أتشبث فى جدارها بأظافرى ، ولكن اللبوة
اللعينة أمسكت ساقى ، وجذبتنى بمخالبها وأنيابها
إلى الخارج ، ثم تراجعت لتشب على مرة أخرى ،
إلا أننى رأيت حافة ناتئة بارزة ، على جانب الهوة ،
فقفزت إليها بفتة ، وأردت التعلق بها ، ولكنها
أنهارت تحت ثقلى ، وهويت إلى سرداب مظلم ،
بقيت فيه نهارين وليلتين ، حتى عثرت على طريق
للفرار .

رحنا ندرس الأمر طبقا لروايته ، واستقر رأينا
على أن يهبط الكابتن والجاويش وبعض متسلقي
الجبال ، إلى حيث يحتفظ (الفنج) بأسودهم ، وأن
يرافقهم (جافيت) ، الذى تطوع باصطحابهم ، وأنا

أقف أنا والبقية الباقية من متسلقى الجبال عند
نهاية السلم ، حتى إذا ما حان موعد إطعام
الأسود ، أعدنا بنادقنا ، وتأهبنا للقتال ..

وفي اللحظة المنشودة ، ارتجفت نفسي ، وأنا
أشاهد تلك السلة اللعينة ، التي تحوى طعام
الأسود ، والأستاذ (هيجز) ، وهي تهبط إلى حيث
الأسود ، التي صم زئيرها الأذن ، وهي تشم رائحة
الطعام الأدمى الطازج ..

ولم تكد السلة تلمس الأرض ، حتى وثب منها
(هيجز) ، وبدا لحظة وكأنها سيطلق ساقيه للرياح
فرارا ، إلا أن كرامته — على الأرجح — قد منّعه
من ذلك ، فقد توقفت بفتة ، وعقد ساعديه أمام
صدره ، بعد أن أرخى قبعته على وجهه ، ووقف
ينتظر هجوم الأسود في بسالة ..

ورفع (الفنج) باب مفارة الأسود ، التي هبت
لالتهام فريستها ..

وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..

وأصيبت الأسود بالذهول ، فتراجعت في ذعر ،
في حين قفز (جافيت) إلى حيث الأستاذ ، وجذبه



وفجأة انهالت عليها رصاصاتنا ..
وأصيبت الأسود بالذهول ، فتراجعت في ذعر ..

إلى حيث السلم ، فافاق (الفنج) من ذهولهم ،
وانطلقوا يعدون خلفه ، وقد جن جنونهم لضباع
قربان الآلهة ، ولكن رصاصات بنادقنا أعادت إليهم
صوابهم ، وجعلتهم يختبئون كالفران المذعورة ،
حتى عاد إلينا الأستاذ ، ونجونا جميعا في ليلة عيد
معبود (الفنج) ..

ويا لها من ليلة !!

* * *

٧ - مفاوضة ..

على الرغم من فرحتنا باستعادة (هيجز) ، ظل
قلبي يحمل الكثير من الحزن ؛ لأننا لم نستعد ولدى
(رودريك) ، الذى ظل أسيرا لدى (الفنج) ، ولقد
جلس (هيجز) بيننا أشعت الشعر ، مهلهل الثياب ،
وأخرج غليونه ، الذى ما زال كمنظاره سليما
صالحا ، على الرغم مما مر به من أهوال ، وراح
يحشو الفليون ببعض ما أعرته إياه من تبغ ، وراحت
(مجيدة) تتطلع إليه فى دهشة وحيرة ، وكأنها
لا تصدق أن هذا الرث صديق لنا ، فى حين سألتنى
هو مبهورا :

— من هذه الحسناء الفاتنة ؟

أخبرته أنها الملكة ، فوقف احتراما ، وهم بخلع
قبعته على نحو غريزى ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى
أنه قد فقدوها فى معبته ، فراح يتحدث معها بلغة
عربية فصحة أدهشتها وأثارت إعجابها ، فرفعت
حاجبيها الجميلتين ، وغمغمت :

— تهنئأتى بنجاتك أيها الغريب ، لا ريب أنها
كانت تجربة شاقة .

هز رأسه مؤمنا ، وقال :

— شاقة للغاية ، وأنا عاجز في الواقع عن
الشكر والاعتراف بجميل هؤلاء الأصدقاء .

والتفت إلى مستطردا :

— واطمئن بالنسبة لولدك يا (آدمز) ، فهو في
خير حال ، ولقد أصبحنا صديقين حميمين ،
وسيتزوج ابنة السلطان (بارونج) .. وهذا
السلطان طيب القلب ، كريم النفس ، ولقد اعترض
كثيرا على إلقائي للأسود ، ولكنه عجز عن مواجهة
سطوة كهنة المعبود ، ولقد سمح لي بدراسة
شعائرهم الدينية ، و ...

قاطعته في لهفة :

— وماذا قال ولدي ؟

أجابني في بساطة :

— لقد أسعده كثيرا أن يعلم أنك تسعى إلى
استعادته ، وآلمه أن تلقى كل الهوان والعذاب في
سبيل هذا ، وهو شاب وسيم جميل ، ما زال يجيد
الإنجليزية ، وإن غلبت عليها لهجة (الفنج) ، وهو
الآن رئيس مرتلي أناشيد المعبد ، وسيتزوج ابنة
السلطان قبيل اكتمال القمر في الشهر القادم بليلة

واحدة ، وستقام الاحتفالات في (هرمق) ، وكنت
أتمنى حضورها ، و ...

قاطعته مرة أخرى :

— وهل يحب هو ابنة سلطان (الفنج) هذه ؟

هز رأسه ، مجيبا :

— إنه لم يرها في حياته كلها ، ولكنه سمع عن
جمالها وبساطتها ، ولعل أبسط مزايا هذا الزواج ،
أنه سيضمن عدم إلقائه إلى الأسود .

اكتفيت منه بهذا القول ، الذي جعلني أنام ليلتي
قريب العين ، حتى أيقظني (هيجز) في الصباح ،
وهو يقول :

— انهض أيها الكسول ، وحدثني بكل ما لديك
عن زهرة (المور) .. ألا ترى معنى أن لعينيها
سحرا عجيبا ؟

جلست على فراشي قائلا :

— دع مشكلة سحر عينيها هذه لكابتن (اورم) ،
فهو يحبها .
هتف :

— يحبها ؟! .. إنني أمنحه كل الجق في هذا ،
فلو أنني في مثل عمره ، لفرقت في عشقها حتى
أذنى .

قلت في قلق :

— أخشى ما أخشاه أنها قد وقعت في حبه بدورها ، وقد يعرضهما هذا للقتل ، فهو يخالف قواعد (الأباتى) وعقيدتهم .

هز رأسه متفهما ، وقال :

— يبدو أنك على حق .. سأحدث إليه في الأمر جديا ، فأنا في مثل عمر والده تقريبا .

قلت في انفعال :

— فليكن ، ولكن حذار أن تنتبه (مجيدة) إلى هذا .. حذار ..

دعنا الملكة إلى مجلسها الكبير مرة أخرى هذا العصر ، ولم نكد ندلف ، حتى فتحت أبواب ضخمة في نهاية القاعة ، وتقدم عبرها ثلاثة رسل من (الفنج) ، تدلت لحاهم البيض على ملابسهم الناصعة ، وهم ينحنون في أدب جم أمام (مجيدة) ، التى أسدلت نقابها على وجهها ، دون أن يعيروا (جوشيا) أو الكهنة أية عناية أو اهتمام ، ورفعت (مجيدة) كفها ، قائلة :

— تكلموا .

تقدم أحدهم خطوة ، وقال :

— أيا سليلة الملوك وزهرة (المور) .. إننى أحمل إليك رسالة شفوية من سلطاننا العظيم (بارونج) .

قالت في هدوء :

— هات ما لديك .

اعتدل وقال مرددا كلمات سلطانه :

— يا « أم النجاشى » .. لقد استعنت بالغرياء لإلحاق الأذى بمعبودنا (هرمق) ، وأنا خادمه ، ولقد قتلوا بعض جنودى ، وانتزعوا من المعبود قربانه وضحيته ، وقتلوا بعض أسودنا المقدسة ، وعددا من كهنة (هرمق) ، كما أبلغنى بعض جواسيسى أنك تضررين شرا لمعبودنا ؛ لذا فأنا أبلغك أننى سأبيد (الأباتى) عن آخرهم ، بعد هذه الأفعال ، وبعد أن أبقيت عليهم طويلا ، ولقد أجلت زواج ابنتى من (مطرب مصر) بسبب أحزاني لما حدث ، ولن يذهب حزنى ، وتزوج ابنتى ، ويرتد حسامى إلى جرابه ، إلا بعد أن أثار لمعبودى ، ولا أبقى على أثر لـ (الأباتى) ، ولتعلمى أن المعبود (هرمق) قد تنبأ بعد مصرع وحوشه ، وعلى لسان كهنته ، أن رأسى سيرقد على سهول

(المور) ، قبل موسم الحصاد ، وهذا يعنى اتنى
أو من ي خلفنى سينام على أرض (المور) قبيل أن
يأتى الحصاد ، وأمامك الآن أحد خيارين ، إما أن
تخضع لى ، فيسلم (الأباتى) جميعا ، فيما عدا
(جوشيا) ، وعشرة آخرين ؛ لأنه حاول اغتيالى
باسلوب لا يتفق مع الشرف ، ولأن الآخرين
لا يستحقون الموت بالسيف ، أو أن تقاومى ، فلا
يسعنى إلا أن أقتل كل رجالك ، عدا الغرباء ، وعدا
(جافيت) ، الذى استحق احترامى وتقديرى ، لما
أثبته من جرأته ، واستهانته بالموت ، وفى الحالة
الآخرة ستسبى كل نساء (الأباتى) ، فيما عدا
(أم النجاشى) ، ذات القلب الكبير .

انتهى الرسول من تلاوة الرسالة الشفهية ،
وصمت ينتظر الجواب ، فأدارت (مجيدة) عينيها فى
وجوه مجلسها ، ورات الرعب المرتسم عليها ،
فقالت :

— ما رأيكم يا رجال مجلسى الموقر ؟ .. لست
أحب أن أنفرد بجواب يعنى مصير شعب بأكمله ..
ما رأيك يا عمى (جوشيا) .. اتقبل أن تضحى
برأسك ورعوس عشرة من القادة ، فى سبيل السلام
بيننا وبين (الفنج) ؟

هتف (جوشيا) مستنكرا :

— أتقترح ملكة البلاد أن يشنق عمها ، والامير
الأول لبلادها ؟ .. هل توقع العشرة الآخرون أن
يسمعوا هذا القول ، من شفتى مليكتهم ؟

أجابته فى هدوء :

— لست أقترح شيئا يا عماه ، وإنما أسالك
رأيك فيما يعرضه سلطان (الفنج) .

صاح فى غضب :

— أجيبه عنى وعن العشرة الآخرين ، وعن
كل (أباتى) ، أننا نرفض هذا العرض ، وأننا
سنقاتل (الفنج) ، ونبيدهم ، ونهدم معبودهم
ومعبدهم على رعوسهم ، لنهد بأحجاره طرقتنا ونبنى
معابدنا .. هل تسمعون يا رسل (الفنج) ؟

تطلعوا إليه فى استهتار وازدراء ، وقال كبيرهم :

— نعم .. نسمع ، ويسرنا أن نسمع هذا
القرار ، فشعبنا يحب الحروب ، ويفضل حسم
خلافاته مع الآخرين بحد السيف ، ولكن عليك أنت
أن تعجل بالموت ، قبل أن نحتل (المور) ، فالمشنقة
ليست وسيلة الموت الوحيدة عندنا كما تعلم .

٨ - القرار ..

لم يكذ رسل (الفنج) يغادرون المكان ، حتى ساد صمت ثقيل رهيب ، تحطم فجأة بجلبة أحدثها حديث رجال (الأباتى) المختلط ، حيث راحوا يتحدثون جميعا فى آن واحد ، دون أن يصفى أحدهم إلى ما يقوله جاره ، إلى أن برز الكاهن من وسط الجموع ، وهتف يدعو الجميع للصمت ، ثم راح يعلن أننا نحن سبب ما أصاب (الأباتى) ، الذين عاشوا عمرهم كله فى سلام ، حتى لدغنا نحن جيراننا (الفتح) ، وأشعلنا نيران الغضب فى نفوسهم ، فثاروا وهاجموا وماجوا ، وقرروا القضاء على (الأباتى) بلا رحمة ..

وفى نهاية خطبته الحماسية الغاضبة ، اقترح ترحيلنا من (المور) ، حتى يستتب الهدوء من جديد ، وعندئذ شاهدت (جوشيا) يهمس بأمر ما فى أذن أحد أتباعه ، الذى لم يلبث أن صاح :

— لا .. لو أننا طردناهم ، فسيهرعون إلى (بارونج) ، سلطان (الفنج) ، بعد أن سبروا أغوارنا ، وكشفوا أسرارنا ، وصار بمقدورهم استغلالها ضدنا .. يجب أن نعدمهم على الفور .

شحب وجهه وهم ينحنون للملكة ، ويغادرون المكان ، وصاح غاضبا :

— هل ستسمحون لهم بالانصراف ؟ .. لابد أن نقتلهم بعد أن هددوا وأهانوا أمير بلادكم .

ولكن أحدا لم يرفع يده إلى رسل (الفنج) ، الذين غادروا المكان حاملين القرار ..

قرار الحرب ..

* * *

ثم جرد حسامه في زهو ، فقفز إليه الجاويش ،
وضرب رأسه بكعب مسدسه ، وهو يقول في
صرامة :

— أعد سيفك إلى غمده أيها الوغد .

ولدهشتنا أطاعه الرجل في خوف ، فاندفعت
الملكة تقول في انفعال :

— يا للعار !.. يا للخسة والاندالة !.. هؤلاء
ضيوفى ، تركوا أوطانهم وذويهم ، وهبوا لمساعدتنا
وخدمتنا ، فهل نكافئهم على هذا بالقتل ؟!.. ثم
ما الذى يجديه هذا ؟.. إن الحل الوحيد لنجاتنا من
هذا الموقف ، هو أن نهدم معبد (الفنج) ومعبودهم
على رعوسهم .. ولتعلموا أن سلطان (الفنج) ،
على الرغم من عدائه لنا ، رجل شريف ، يحترم
الشجاعة والشجعان ، وستضاعف نغمته علينا ،
لو قتلنا من يحمل لهم كل الاحترام ، ولن يطفىء
غضبته — حينذاك — إلا القضاء على شعبنا كله ،
ولو وافقتم على اقتراح قتل الغرباء ، فسأتنازل عن
عرشى ، ولتنتخبوا ملكة غري .

صاح أحد رجالها في جزع :

— هذا مستحيل !!.. أنت آخر السلالة
النبيلة .

قالت في حزم :

— اختاروا واحدة من دم غير نبيل ، أو انتخبوا
ملكا يوافق على ذبح الضيوف ، وإهدار شرف
(الأباتى) وكرامتهم ، واحتمال هذا العار إلى أبد
الأبد .

دفعت كلماتها الخوف إلى نفوس أعضاء
مجلسها ، فسألها أحدهم في قلق :

— ما حل المشكلة في رأيك إذن يا (أم النجاشى) ؟

رفعت نقابها ، وألقته على رأسها ، وهى تقول
في صرامة :

— الحل الوحيد هو أن تؤلفوا جيشا جرارا ،
ينضم إليه كل قادر على حمل السلاح ، وليساعدكم
الغرباء ، ويقودكم إلى النصر ، وإلا فلتقبلوا بالذبح ،
وبأن تروا نساءكم سبايا ، وأن يمحق اسمكم من
سجل الشعوب .

صاح أحدهم ، وقد ملكه الحماس :

— كلا .. كلا .

هتفت بحماس أكبر :

— انقذوا أنفسكم إذن ، فما زال عدوكم كبيرا ..

تزودوا بالشجاعة مرة واحدة ، وستجدون انكم
قادرون على احتلال (هرمق) نفسها قبل الحصاد .
ثم نهضت ، وغادرت المجلس في عظمة ووقار ..
وتركت القرار الاخير لشعبها ..

انتهى قرار (الاباتى) إلى ان نبقى على رأس
جيشهم ، وأن يطيعوا أوامرنا الحربية ، على ان
يكون لهم مجلس من القادة معنا ، له رأى استشارى
محسب ، وقد انساهم رعبهم من القتال كوننا
غرباء ، لا ننتفى إلى وطنهم بصلة ..
وبدأت مهمة تكوين الجيش ..

وكانت اشق مهمة بذلناها في عمرنا كله ..

لقد كان (الاباتى) قوما زراعيين ، لا يمتون
للحرب والقتال بأية صلة ، ولقد اعتبروا جمعنا
للجيش أمرا رهيبا ، فراحوا يرشقوننا بالحجارة
من نوافذ منازلهم وأكواخهم ، ونحن نجمع الجيش ،
حتى لم نستطع جمع أكثر من خمسة آلاف رجل بشق
الأنفس ..

وكانت مهمة (كويك) الأساسية هي أن يعاون
الكابتن طوال ست ساعات يوميا ، على شق

سرداب من نهاية مقبرة أجداد وملوك (الاباتى) ،
وأسفل الصخرة الضخمة التى تفصله عن المعبود ،
وحتى التمثال نفسه ..

وكانت مهمة شاقة بحق ..

بل هي مستحيلة ..

ثم تدخلت العناية الإلهية ، وعثرا في أثناء حفر
السرداب على نفق قديم ، شديد الانحدار ، يوصلهما
إلى هدفهما ، ولكن الزلازل القديمة كانت قد ردمت
جزءا منه ، وكان عليهما رفع الصخور ، إلا ان
الكابتن قال للملكة :

— أخشى ما أخشاه الا يؤدي بنا هذا إلا إلى
مغارة الأسود ، ثم إنه سيحتاج إلى ما يقرب من
سنة أسابيع لرفع الصخور والأنقاض ، فى حين
أننى لا أميل إلى فكرة هدم المعبد والمعبود هذه ،
فهما جزء من جبل شاهق شامخ ، واشك فى أن تتجح
متفجراتنا فى نفسه ، والرأى عندى أن نجمع جيشا
من (الاباتى) ، ونهاجم مدينة (هرمق) فى أثناء
احتفالات عيد الحصاد ، فلو أمكننا هدم أسوارها
وابوابها فسنستطيع مهاجمة المعبود ، وهدم المعبد
من الداخل .

استمعت إليه (مجيدة) في اهتمام ، وصمتت
طويلا مفكرة ، ثم هزت رأسها ، وقالت :
— ساستشير مجلسي ووزرائي .

قضيت ليلتها تستشير قادتها ، ثم أتت تقول في
سخرية مريرة :

— يقول أعضاء مجلسي الموقر إنها فكرة طائشة ،
ولا سبيل لتحقيقها ؛ لأن (الأباتي) لا يلقون بأنفسهم
في التهلكة عبثا ، ثم إنهم يرون أن هدم المعبد
والمعبود هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء صراعنا مع
(الفنج) ؛ ولذلك فهم يأمرونكم بهدم المعبد والمعبود .
تطلعنا إليها في دهشة لعبارتها الأخيرة ، فأضافت
في مرارة :

— نعم .. إنهم يأمرونكم ولا يرجونكم ؛ لأنهم
يعتبرونكم في خدمتهم لمدة عام كامل ، كما أقسمتم ،
وفي هذه الحالة يتحتم عليكم طاعة أوامرهم ، فهذا
ما ستنالون عليه أجركم .

بدا الغضب على وجه الكابتن ، فاستدركت في
سرعة :

— هذا ما قرره المجلس ، وما أعلنه نيابة عنهم
الأمير (جوشيا) .

احتقن وجه (أورم) ، وقال :

— وهل هذا رأيك أيضا يا سليلة الملوك ؟
تنهدت وقالت :

— ليس أمامي سوى هذا ، ما دام (الأباتي)
يرفضون القتال .

ران الصمت لحظة ، ثم قال الكابتن :

— لا بأس يا زهرة (المور) .. سنبذل قصارى
جهدنا ، ولكن لا تلوموا إلا أنفسكم ؛ لو انتهى الأمر
على خلاف ما تحبون ، فالنبوءات سلاح ذو حدين ،
ولست أتصور شعبا مقاتلا كـ (الفنج) يفادر بلاده
هكذا ، بعد هدم معبده ومعبوده ، مهما قالت
نبوءاته ، دون أن يهدم بلادكم فوق رؤوسكم ..
ولكن ليكن ما شاء مستشاروك الشجعان .

صمت لحظة ، وكأنها يدرس الأمر ، ثم أضاف
في حزم :

— أريد مائتين وخمسين من متسلقي الجبال ،
تحت قيادة (جافيت) ، الذي عليه اختيارهم بنفسه ،
وسأتولى مع الجاويش (كويك) أمر المتفجرات ،
ومد الأسلاك في السرداب .

أجابته :

— ستحصل على ما تريد .

لم نكد تنصرف من مجلسها ، حتى سمعنا
(جوشيا) يقول :

— لقد ظهر الغرباء على حقيقتهم .

استدار إليه الكابتن في حركة حادة عنيفة ،
جعلته يتراجع مذعورا ، في حين صاح الكابتن :

— حذار أن ينتهى الأمر إلى أن تظهر أنت على
حقيقتك يا (جوشيا) ، فهى أقل مما تتصور بكثير .

لم ينبس (جوشيا) بحرف واحد ، ولم يجرؤ حتى
على الاعتراض ، وإنما انسحب وهو يهمهم بعبارات
غاضبة مبهمه ..

وعدنا نحن إلى العمل المتصل ..

كان الكابتن والجوايش يتناوبان العمل ليلا ونهارا
في السرداب ، وكلبنا (فرعون) الصق بالكابتن من
ظله ، في رواحه وغدوه ..

ثم حدث ما كنت أخشاه ..

وكادت تقع المأساة ..

كان ذلك ذات ليلة ، خرج فيها الكابتن يلتمس
بعض الراحة ، من عناء العمل في السرداب ، وعهد
إلى الأستاذ بالإشراف على العمال بدلا منه ، حتى
يأتى الجوايش (كويك) لتسلم نوبتيته ، وكنت أنا

مشغولا بإحباط عصيان بعض صغار الملاك من
الجنود ، الذين فروا من الجندية إلى حقولهم ، لبيع
محصولاتهم ، وبعد أن انتهت الملكة من معاقبتهم
سارت معى الهوينى ، حتى التقينا بالكابتن ، فأمرت
حراسها بالعودة إلى القصر ، وسارت جنبا إلى
جنب مع (أورم) ، حتى اختفيا في أحد الأركان ..

وجلست أنتظرهما في بقعة بعيدة ، وقد شرد
فكرى في ولدى الأسير الحبيس ، حتى تناهى إلى
مسامعى وقع أقدام متسللة حذره ، فأشعلت عودا
من أعواد الثقاب ، ليسقط الضوء على وجه أحد
خدم الأمير (جوشيا) :

ووجدت نفسى ارتجف ..

واتساءل : اكان ذلك الخادم في طريقه إلى حيث
(أورم) و (مجيدة) ، أم كان عائدا من هناك ؟!

وبكل توترى صحت به :

— من أنت ؟ .. وماذا تفعل هنا ؟

هتف في انزعاج :

— الطبيب ؟!

انطفأ عود الثقاب في تلك اللحظة ، ولم أكد
أشعل آخر ، حتى كان الخادم قد اختفى ، وكأنها
انشتقت الأرض وابتلعتة ..

ولم أخبر الكابتن أو الملكة بما حدث إلا أنني لم
أستطع كتمان مخاوفي عن (هيجز) ، الذي عقد
حاجبيه طويلا مفكرا ، ثم قال :

— أغلب ظنى أنهم سيحاولون قتل الكابتن ،
ومن الضروري أن نحذره من النوم بمفرده .

كان هذا في المساء ، ولم تكد تشرق شمس
الصباح التالي ، حتى طرق (كويك) باب حجرتنا ،
وهو يقول في انزعاج واضح :

— الكابتن يريد رؤيتكما .

سأله (هيجز) ، ونحن نرتدى ثيابنا على عجل :

— ماذا حدث ؟

أجابه (كويك) في امتصاب :

— سترين بنفسيكما .

قطعنا شوطا طويلا في السرداب المظلم ، حتى

بلغنا أطلال معبد قديم ، ورأينا على ضوء المصباح
الذى أحمله شبح الكابتن ، وهو يحمل مصباحا
آخر ، وإلى جواره جلس (فرعون) يهز ذيله مرحبا
بنا ، وتمتم الكابتن في خفوت :

— اتبعانى .. سأريكما شيئا .

قادنا إلى حجرة جانبية ، أقام فيها فراشه ،
وأشار إلى شيء مجاور للفراش ، قائلا :

— انظروا .

بدت لنا جثة رجل قتيل ، وإلى جوارها خنجر
ضخم ملوث بالدماء وتعرفنا على الفور ذلك القتل ،
وهتفنا في صوت واحد :

— (القط) ؟!

قال الكابتن في حزم :

— لقد تسلل ليقتلنى ، ولكن (فرعون) انتبه
إليه ، وأيقظنى نباحه ، فنجوت من الموت بأعجوبة ،
واشتبكت مع (القط) ، واضطرت لقتله .

غمغم (هيجز) :

— لقد نال جزاءه ..

ولم يكذ الخبر يتباهى إلى (مجيدة) ، حتى
هرعت إلينا جزعة مذعورة ، وتبعها (جوشيا)
متظاهرا بالجزع والتعاطف ، وإن لم ينس أن يرمق
(فرعون) بنظرة قاسية ناقمة ..

ولم يكتف بالنظرة للأسف ، ففي مساء اليوم
نفسه مات (فرعون) ..

مات مسموما ..



بدت لنا جثة رجل قتيل ، وإلى جوارها خنجر ضخم ملوث بالدماء
وتعرفنا على الفور ذلك القتل ..

منذ ذلك الحادث احاطتنا الملكة بنخبة مختارة من حراسها الأوفياء ، وبرعاية فائقة ، حتى أننا لم نكن نخطو خطوة واحدة من دون الحراس ، وحتى طعامنا وشرابنا لم نكن نتناولهما قبل أن يتذوقهما شخص مسئول ، حتى لا يكون مصيرنا كمصير (فرعون) المسكين ..

وكان أكثرنا ضيقا وتبرما بتلك الحراسة المكثفة هي الملكة نفسها ، وكذلك الكابتن ، فعلى الرغم من أن الحراسة تكفل ألا تقطع رقابنا في أثناء النوم ، والا نقضى نحبنا بالسسم ، إلا أنها في الوقت نفسه تضع قيودا يصعب تجاوزها ، بالنسبة للقاء العشاقين ..

ولكن هذا لم يمنع من حدوث بعض الحوادث الغامضة المثيرة للشك ..

فعندما كنا نجلس - ذات مرة - عند سطح التل ، هوت فوقنا صخرة ضخمة ، كادت تسحقنا سحقا ، لولا أن ارتطمت بنتوء صغير في هبوطها ، فأنحرف مسارها ، ونجونا بأعجوبة ..

ومرت أخرى ، سقطت علينا بعض الرماح ، ونحن نجول في الغابات ، ولقى جواد (هيجز) مصرعه ، إلا أننا لم نجد أثرا لمخلوق واحد في الأدغال كلها ..

وذات يوم ، هرع راعيا غنم إلى القصر الملكي ، وقالوا إنهما كانا يرعيان بعض الأغنام ، بالقرب من الصخور الغربية ، على مسيرة عدة كيلومترات ، عندما فاجأهما خمسة عشر من جنود (الفنج) ، وأحكموا وثاقهما ، وقالوا لهما في سخرية :

— أبلغا المجلس والملكة والغرباء أنه من الأفضل أن يسرعوا بتدمير معبودنا ، قبل أن تتحقق النبوءة ، ويتم سحق (الأباتى) ، وسبى نسائهم ، واحتلال (المور) .

ثم تركوهما موثقين ، حتى حل رعاة الأغنام الآخرون واثاقهما ، فأسرعوا إلى القصر لإبلاغ الرسالة ..

وهرع فريق من الجيش إلى تلك البقعة ، يتفقد المكان ، ويبحث عن أى أثر تركه (الفنج) خلفهم ، ولكن دون أن يسفر هذا عن شيء ..

وتفجر عندئذ سؤال جديد ..

أى طريق سلكه جنود (الفنج) إلى أرض
(المور) ، ليبلغوا رسالة سلطانهم !؟

والمؤسف أن الأمطار قد هطلت بعد هذا الحادث ،
ومحت أية آثار أقدام ، قد يكون الأعداء قد خلفوها
وراءهم ..

ولم يعد أماننا سوى افتراض واحد ..

أن (الفنج) قد كشفوا طريقا خفيا بين (هرمق)
و (المور) ، وأنه سيكون وسيلتهم للتسلل إلى
البلاد وغزوها مستقبلا ..

وتضاعف الفزع في النفوس ، مع انتشار
القصة وانتقالها من فم إلى فم ، وبدأ الأمر أشبه
بأمة حديثة ، تخشى أن يهبط عليها العدو بغتة
بالمظلات ، ويحتل أرضها ، وهى فى سبات عميق ..

وبسرعة تبخرت الثقة بالنفس ، وانهار الزهو
بأسوار (المور) الصخرية ، وانقلب الحديث إلى
وصف جيوش (الفنج) المدربة ، ولم يلبث الرعب
أن ملأ النفوس ، وارتفعت بعض الأصوات تطالب
بمحاكمة مستشارى الملكة ، الذين ساقوا البلاد
إلى هذه الحالة من الضعف ، بسياسة السلام
الهزيلة ، والعزوف عن الحروب ..

وأفل نجم (جوشيا) كثيرا ..

وبقدر ما هبط نجم (جوشيا) ، ارتفع نجم
(مجيدة) ، التى طالما نادت بضرورة تكوين جيش
قوى مدرب ..

ولم يعد أمام شعب (الأباتى) المسكين سوى أن
يتضرع إلى إلهه طالبا الرحمة ، وسائلا إياه أن
يمنحهم القوة على مواجهة أعدائهم ..

وأصبحنا نحن أمل (الأباتى) الوحيد فى النصر ،
وتضاعف احترامهم لنا مرات ومرات ، حتى أن
(جوشيا) نفسه صار ينحنى لنا كلما لقينا ، وصار
الحفاظ على حياتنا هو الشغل الشاغل للجميع ،
فانقطعت المؤامرات والدسائس ، أيا كان مصدرها ،
وواصلنا نحن العمل ..

وأخيرا انتهينا من العمل الشاق ، وتم إعداد كل
شئ للقتال ، واتفقنا على إشعال فتيل الحرب ليلة
اكتمال البدر ، وهى الليلة التى أبلغنا جواسيسنا
بأن السلطان سيقوم فيها حفل زواج ابنى وابنته فى
(هرمق) ، وأنه قد استعد لبدء الهجوم على (المور) ،
فور انتهاء مراسم حفل الزفاف ..

وفى ذلك اليوم أعددنا كل شئ ، فيما عدا سد
الممر الذى يصل ما بين مغارة مقابر ملوك (الأباتى) ،

وتمثال إله (الفنج) ، وكان الكابتن قد مد فيه كل أسلاك المتفجرات ، وجعل نهاية الأسلاك جميعها في حجرته ، حيث يضع فراشه ، وحيث لقي (القط) مصرعه ، وأقام حراسة مشددة على الحجرة ، خشية حدوث أية خيانات ..

وفي الرابعة تقريبا أتم العمال عملهم في الممر ، وفجأة ظهر (جافيت) بادی الاضطراب ، وبلغ موقعنا حول البطاريات الكهربية وهو يلهث ، فهتف به الكابتن في قلق :

— ماذا حدث ؟ .. هل كشف (الفنج) امر الأسلاك وقطعوها ؟

أجابه (جافيت) في انفعال :

— بل حدث ما هو أسوأ يا سيدي .. إن الأمير (جوشيا) يعد خطة لاختطاف زهرة (المور) وسليلا الملوك .

صعقنا الخبر ، وهتف الكابتن غاضبا :

— ماذا تقول يا رجل ؟ .. قص علينا الأمر كله .

التقط (جافيت) أنفاسه ، وهو يقول :

— إن لي صديقا وقريبا — ولن أبوح باسمه — يعمل في خدمة الأمير ، ولقد شربنا معا اليوم بضعة

أقداح من الخمر ، حلت عقدة لسانه ، فإذا به يخبرني مزهوا بوجود مؤامرة لاختطاف الملكة .
— أمسكه (أورم) من كتفيه ، وصاح به في قوة :
— متى وكيف ؟

هز (جافيت) رأسه في انفعال ، وقال :

— لست أدري ، هذا كل ما أمكني معرفته . سألته في حيرة :

— ولكن ما الذي يدعو لاختطافها ؟
أجاب (جافيت) :

— ليصبح أكبر رجل في (المور) .

ران علينا صمت ثقيل ، صنعته دهشتنا واستنكارنا لما سمعناه ، وسأل الكابتن (جافيت) في انفعال :

— ألم تعلم متى يتم ذلك تقريبا ؟

تردد (جافيت) لحظة ، ثم أجاب :

— بعد خمسة أيام تقريبا .

تنهد الكابتن في ارتياح ، وقال :

— يوم السبت بعيد والحمد لله .

ثم سأله مرة أخرى في اهتمام :

— قل لي يا (جافيت) : هل صديقك هذا صادق دوما ؟

هز (جافيت) رأسه نفيا ، وقال :
— إنه يكذب أحيانا ، ولكننى رأيت ضرورة
إخباركم بها سمعت .

ربت الكابتن على كتفه ، وقال :
— حسنا فعلت .

انصرف (جافيت) وتوتره يلزمه ، فى حين التفت
إلينا (أورم) ، وسألنا :
— ما رأيكم ؟

أجابه (هيجز) فى ضجر :
— إنها بعض الشائعات ، التى تنتشر فى كل
مكان .

قلت بدورى :

— أوافقك على هذا يا هيجز ، فلو إن صديق
(جافيت) يعلم شيئا ، لما أكتفى بهذا القول المبهم ،
ونصيحتى ألا تذكروا الأمر (مجيدة) ، حتى لا نشر
قلقها بلا طائل .

هز الكابتن رأسه متفهما ، ثم التفت إلى (كويك)
يسأله :

أجابه (كويك) بلا تردد :

— لست أوافقهما إلا فى ضرورة عدم إزعاج
سليلة الملوك بذكر الأمر ، ولكننى أثق فى أن (جافيت)

رجل أمين ، وغريزته تؤكد له أن شيئا ما يحاك ضد
مليكته .

سأله الكابتن فى اهتمام :

— ماذا تقترح إذن ، لو أن هذا صحيح ؟

أمسك الجاويش عصا قصيرة ، وراح يخط بها
بعض الخطوط على أرض الحجرة ، وهو يقول :

— هذا رسم تخطيطى لحجرة الملكة الخاصة ،
هنا حجرتها ، وهنا مخدع الوصيفات والخادومات ،
ثم جدار مرتفع ، يعقبه خندق عميق ، ولكن هناك
ممر بعرض مترين ، يصل ما بين حجرة الحارس
ومخدع الوصيفات ، والرأى عندى أن نقضى ليلنا
أنا والأستاذ فى حجرة الحارس ، منذ هذه الليلة ،
خشية أن يتم اختطافها قبل الأوان .

درس الكابتن الأمر لحظات فى صمت ، ثم قال فى
حزم :

— فليكن ، ولكن ما رأى الأستاذ (هيجز) ؟

قال (هيجز) :

— اقترح الجاويش رائع بحق .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— معذرة لخروجى عن النقاش ، ولكننى أحب

أن اصعد إلى الصخرة ، لأرقب ما يحدث ، عندما
تنشب المعركة .

هز الكابتن كتفيه ، وقال :

— لن ترى سوى وميض والتماعات في
السماء .. والأفضل أن تصحب الجاويش إلى حجرة
الحارس ، وتصطحبان معكما هاتف ميدان ، حتى
يمكنكما الاتصال بنا ، وإبلاغنا بما يحدث أولاً فاولاً .

ضرب الجاويش كعبيه ببعضهما ببعض ، وقال :

— أية أوامر أخرى يا سيدي ؟

قال الكابتن :

— لا يا (كويك) .. أنت تعلم أنني سأسهل
اللغم في تمام العاشرة ، فلقد أبلغنا جواسيسنا أن
حفل الزفاف سيقام بعد ظهور البدر بثلاث ساعات
كاملة .

أيد (هيجز) حديثه ، قائلاً :

— هذا صحيح .. لقد سمعتهم يؤكدون هذا ،

وأنا في سجنى .

قال (أورم) :

— لهذا السبب لن أشعل اللغم قبل العاشرة ،
مهما كانت الأسباب ، حتى لا يصاب (رودريك) بأى

ضرر ، وعليكما أن تتصلا بى وبالطبيب فى التاسعة
والنصف .

تبادلنا التحية ، وصحبت أنا (هيجز) و (كويك)
إلى حجرة الحارس ، وسألنى (كويك) هامساً :

— أتؤمن بالحاسة السادسة أيها الطبيب ؟

أجبتُه وأنا فى حيرة من سؤاله :

— بالطبع .. لماذا تسأل ؟

ابتسم ابتسامة حزينة وقال :

— شئ ما فى أعماقى ينبئنى أنتى لن أراكم مرة
أخرى بعد هذه الليلة ، وأن نهايتى قد حانت .

حاولت تهدئته ، قائلاً :

— إنه بعض القلق يا (كويك) ، و ...

قاطعنى فى هدوء :

— عدنى ، لو تحققت مخاوفى ، أن تعنوا بأبناء

أخى الراحل ، وأن تخبروهم أن عمهم (صمويل
كويك) قد قام بواجبه حتى النهاية .

شعرت فى أعماقى بأن مخاوفه على حق ، حتى

ان صوتى قد ارتجف ارتجافة خفية ، وانا اقول فى
حزم :

— اعدك يا (كويك) .

لم ينتبه (هيجز) إلى حديثنا ، فقد كان مشغولا
بالتطلع إلى معبود (الفنج) ، الذى سيهوى قبل
مطلع الفجر ..

او نهوى نحن ..

من يدري !؟

١٠ - المعجزة ..

عدت إلى الكابتن ، الذى بقى وحيدا فى حجرته
الشبيهة بالكهف ، وتركت (جافيت) يحرس
الأسلاك ، ولم يكـد الكابتن يرانى حتى ابتدرنى
قائلا :

— قلبى يحدثنى بأن (مجيدة) معرضة لشر
مستطير ، وأن قصة (جافيت) حقيقية ، ولقد رجتنى
(مجيدة) أن تبقى الليلة فى رفقتنا ، ولكنى رفضت ،
خشية أن يصيبنا مكروه عند انفجار اللغم ، فتصاب
معنا ، و ...

ارتفع رنين الهاتف الميدانى فى تلك اللحظة ،
فاختطف الكابتن سماعته فى لهفة ، وهتف :

— ماذا حدث ؟

أجابه (هيجز) فى بساطة :

— لا شئ ، فقط أردت أن أخبركما أننى
والجاويش فى حجرة الحارس ، ويبدو أن القصر
خال تماما ، إلا من ذلك الحارس ، فلقد خرج
الجميع لرؤية الألعاب النارية ، حتى الوصيفات ،

ولقد حاول الحارس منعنا من البقاء في حجرته ، بحجة
ان هذا يتعارض مع اوامر الامير (جوشيا) ، بشأن
عدم اقتراب الغرباء من سليفة الملوك ، ولكن (كويك)
صفعه صفقة جعلته يعدو كالملدوغ ، صارخا ومهددا
بإبلاغ الامير ، و

قطع حديثه بغتة ، على نحو اقلقنا ، فهتف به
(اورم) :

— ماذا حدث عندك ؟

اجابنا صوته بعد لحظات :

— زهرة (المور) هنا ، وتريد أن تتحدث إلى
الكابتن بنفسها .

انسحبت في صمت ، لأترك لهما لحظات ، ينعمان
فيها بمناجاة الحب والعشق ، ليبدد كل منهما توتره
ومخاوفه ، وجلست خارج الحجرة صامتا ، حتى
فوجئت بـ (جافيت) يهرع إلى ، وقد أخذ الرعب
منه مأخذه ، فصحت به :

— ماذا أصابك ؟.. هل قطعت الأسلاك ؟

اجابني وهو يلهث رعبا :

— لا ، وإنما رايت شبح أحد ملوك (المور) في
الكهف .

أنهى (اورم) حديثه على الفور ، وتبادلنا أنا

وهو نظرة ذات مغزى ، ثم هب يسأل (جافيت) :

— هل قال شيئا ؟

اجابه (جافيت) وهو يرتعد :

— قال الكثير ، ولكنني لم افهم سوى القليل ،
فهو يتحدث بسرعة ، وبلغة تختلف عن لغتي كثيرا ،
ولكن اظنه سألني كيف يجرؤ قومي على هدم
معبوده ، فاجبته بأنني مجرد خادم مطيع ، وهنا
قال بأن (هرمق) سيأتى إلى (المور) ، ويصنئ
حسابه مع (الأباتى) والغرباء .

تبادلنا نظرة أخرى ، وغمغم الكابتن :

— أظنها مجرد أوهام ومخاوف .

تطلعت إلى ساعتى ، وقلت في توتر :

— ليس لدينا وقت للتحقق منها ، فقد بقيت
دقائق ثلاث فحسب على العاشرة .

اتخذ كل منا مجلسه في سرعة ، ونسينا أو
تناسينا أمر ذلك الشبح ، وراحت الثوانى تمضى
بنا كالدهور ، حتى صاح الكابتن :

— أربع ثوان .. ثلاث .. اثنتين .. واحدة .

ثم ضغط زر التفجر ..

وانفتحت ابواب الجحيم على مصراعها ..

كان ارتجاجا لم أعهد مثله من قبل ، القانا أرضا
في عنف ، ورأينا صخرة كبيرة تهوى لتسد الباب
أمامنا ، وسمعنا أخرى تسقط بالقرب منا ، فتدك
الأرض دكا ، وانهالت الأتربة في غزارة ، حتى
هدأت الأمور ، فنهضت ألتقط سماعة الهاتف ..

وهنا تناهى إلى مسامعى دوى طلقات نارية ،
عبر أسلاك الهاتف ، وسمعت صوت (هيجز)
يهتف :

— حذار يا (كويك) .

وأعقبه صوت (كويك) يصيح :

— اطمئن .. لقد أطلقت النار عليه ، ولن يمكنه
إطلاق سهم آخر .

وارتفع صوت (مجيدة) تهتف :

— أين الكابتن ؟ .. أريد أن أتحدث إليه ..

ناولت السماعة إلى (أورم) في سرعة ، وسمعتها
تستطرد :

— تعال بسرعة يا (أورم) .. لقد هاجمنا
رجال (جوشيا) .. أسرع قبل أن يفتكوا بنا ،
وان ..

وهنا انقطع الاتصال ، وأيقنا من أن أحدهم قد
قطع أسلاك الهاتف ، فألقى (أورم) السماعة من
يده ، وهتف :

— اللعنة !! .. يا للخسة والخيانة !!

ووثب إلى الباب كليث غاضب ، وحاول أن
يزحزح تلك الصخرة التي تعترضه في يأس ، ثم لم
يلبث أن راح يدور في الحجرة كالمجنون ، ويضرب
الصخرة بكففيه ، حتى صحت به :

— أتريد أن تقتل نفسك ؟ .. اهدأ واتركنى
أفكر .

ولكنه لم يبال بحديثى ، وإنما هتف بـ (جافيت) :
— احضر هذه المنضدة إلى هنا يا (جافيت) ،
فهناك فراغ ضيق بين الصخرة والحافة العلوية
للباب ، ولعلنى أستطيع عبوره .

نجحت فكرته بالفعل ، وأمكنه عبور تلك الفرجة ،
وتبعته أنا و (جافيت) ، ورحنا نعدو نحن الثلاثة
نحو القصر ، ولم نكد نجتاز ردهته حتى رأينا بقع
الدماء على الأرض ، فصاح (أورم) في هلع :
— أسرعوا .. أسرعوا .

عبرنا الممر الذى يوصل إلى مخدع سليلة
الملوك ، ووجدنا أنفسنا نسير فوق جثث ودماء ،

حتى بلغنا حجرة الحارس ، فانتقدت السنتنا من
هول المشهد ..

كانت الحجرة مغطاة بجثث تسبح في بحر من
الدماء ، وكلها ترتدى الثياب الرسمية ، التي
اختارها (جوشيا) لجنوده ، وعلى مقربة جلس
(كويك) على مقعد ، وهناك سهم يخترق ظهره ،
في حين وقفت الملكة إلى جواره ، تدلك وجهه بقطعة
من القماش المبتل ، وإلى جوارهما وقف (هيجز)
والدماء تنزف من جراحه ، وخلفه ثلاث وصيفات
يبكين وينتحنن ..

ولم يكذب بصر (كويك) يقع علينا ، حتى ابتسم
ابتسامة راضية ، على الرغم من الدماء التي تنزف
من رأسه في غزارة ، وأسلم الروح ..
وضم الكابتن (مجيدة) إليه ، وهتف في ارتياح :
— ماذا حدث ؟

أجابته (هيجز) ، والحزن يثقل قلبه وصوته :
— سمعنا دوى الانفجار في تمام العاشرة ، ولم نكد
نهم بالخروج ؛ لرؤية ما حدث ، حتى قدم (جوشيا) ؛
ليعلن تدمير (هرمق) ، وطلب أن تراقبه سليلة
الملوك إلى قصره ؛ لأسباب سياسية هامة ، وأصر



ووثب إلى الباب كليث غاضب ، وحاول أن يزحزح تلك الصخرة
التي تعترضه في يأس ..

على ذلك إصرارا دفعنا إلى طرده ، ولم يكد يغادرنا حتى انهالت علينا السهام ، وانقض علينا جمع كبير ، ينادى بضرورة قتلنا وانقاذ الملكة ، ونشب عراك بيننا وبينهم ، وأبلى الجاويش بلاء حسنا ، حتى ولى المهاجمون الأدبار ، بعد أن أصابوا (كويك) بضربة سيف في رأسه ، وعلى الرغم من إصابته راح يقاتل كالأسد ، حتى اطمأن إلى سلامة الملكة ، فارتقى خائر القوى ، إلى أن خر صريعا أمامها .

قال هذا ودموعه تنهمر في غزارة ، فأخذنا نهدي من أنفسه ، ونفوسنا تبكى الما وحسرة على (كويك) ، وحملنا جثة هذا الأخير إلى مخدع الملكة ، التي أصرت على أن يوضع من دافع عنها حتى الموت على فراشها ، وراحت تضمد جراح (أورم) ، وهي تقول في توتر :

— لم نعد بأمين هنا .. لقد فشلت مؤامرة عمى لاختطافي ، ولكنه لن يلبث أن يعود بألف من أعوانه .

سألها الكابتن مستنكرا :

— ماذا تعنين ؟ .. هل نهرب من (المور) ؟

أجابته في يأس :

— وكيف لنا أن نفعل ، ورجال (جوشيا) يحرسون الطريق ، و (الفنج) ينتظرونكم في الخارج .. إن (الأباتي) يكرهونكم ، وسيقتلونكم بلا تردد ، بعد أن اتهمتم ما أبقوا على حياتكم من أجله .. إنهم شعب ناكِر للجميل ، وخطئى أن دفعتمكم للمجىء إلى هذا البلد العاق .

وانخرطت في بكاء حار ، فجثا (جافيت) عند قدميها ، وقال :

أيا سليلة الملوك ، استمعى إلى خادمك المخلص الأمين ، فهناك ، على مسيرة خمسة كيلومترات ، يوجد خمسمائة من رجالك المخلصين ، يعملون تحت قيادتي ، ويفتدونك بالروح والدم ، فهلم نلحق بهم .. يمقتون (جوشيا) أشد المقت .

تطلعت (مجيدة) إلى الكابتن لحظات ، وكأنها تسأله المشورة ، ثم قالت :

— فكرة جيدة .. هلم بنا إلى هناك .

ولم تمض عشر دقائق حتى كنا نختنى في معاطف ثقيلة ، ونختلط بالجموع المحتشدة ، التي اجتمعت في الميدان الكبير ، وراحت تشير إلى صخرة تتوسطه ..

وامام ذهولنا ودهشتنا ، بدا لنا معبود (الفنج)
واضحاً ، وقد قذف به الانفجار إلى أرض (المور) ،
وبدا (جافيت) شديد الرعب ، وهو يتطلع إلى
هذا المشهد ، فربت (هيجز) على كتفه ، قائلاً :

— لا ترتجف على هذا النحو يا رجل .

التفت إليه (جافيت) ، وقال في ارتياح :

— ألم تفهم ما يعنيه هذا يا سيدى ؟ .. لقد
حلت اللعنة على (الأباتى) ، وبدلاً من أن يرحل
(الفنج) بعيداً ، فإنهم سيتبعون معبودهم إلى هنا .

وكان (جافيت) على حق ..

لقد انعكست الآية ، وصار على شعب (الأباتى)
أن يقاتل من أجل حياته وحرية ..

أو يموت ..

لم نكد نبلغ موقع جيش (جافيت) الصغير ،
حتى لمسنا الفارق الهائل بين الفرق المنظمة ،
وسائر شعب (الأباتى) ، فقد اعترضنا فور
اقتربنا من موقع الجيش جندى حراسة ، وشهر
سيفه في وجوهنا ، هاتفاً في صرامة :

— توقفوا ، واكشفوا عن شخصياتكم .

أجابه (جافيت) في هدوء :

— إننى رئيسك .

قال الحارس فى حزم :

— معذرة يا سيدى ، ولكننى أصر على أن

تكشفوا وجوهكم .

كشف (جافيت) وجهه للحارس ، الذى حياه
فى احترام ، وكشفنا وجوهنا بدورنا ، فلم يكـد
الحارس يرى وجه (مجيدة) حتى خر ساجداً ،
وهو يهتف :

— لبيك يا (أم النجاشى) وسليلة الملوك .

أجابته فى ترفع ، شف عن طبيعة الدماء الملكية ،
التي تسرى فى عروقهها :

— استدع فرقتك كلها ؛ لأبلغها أوامرى .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى جثا أمامها خمسمائة رجل موغورى القوة والصحة ، ثم انتظموا فى صفوف منسقة ملتزمة ، فوقفت هى أمامهم تقول :
— أيها الرجال المخلصون ، لم يكد معبود (الفنج) ينهار الليلة ، حتى أتى عمى (جوشيا) ينشد قتلى ، أو سجنى فى قلعته عند البحيرة .
سرت هممة غاضبة مستنكرة بين الجنود ، فأضافت فى حزم :

— الأسوا هو اننى لم أكد أرغض ذلك ، حتى اضطحب عمى ثلة من رجاله ، لانتزاعى عنوة ، ولكن الأجانب الذين يخدموننى هبوا لنجدتى ، ودارت بينهم وبين جنود عمى معركة حامية الوطيس ، نجح خلالها الأجانب فى إجبار قوات عمى على الانحساب ، وعمى يجمع الآن أعوانه ، ليعيد الكرة .

تعالى صياحهم إلى عنان السماء ، وهم يهتفون :
— فداك دماؤنا وأوراحنا يا سليلة الملوك ..
مرى نطع .. نحن رهن إشارتك يا زهرة (المور) .
ورفع أحد ضباطهم سيفه عاليا ، وهو يهتف :
— فلنسحق رأس الأفعى .

ولكنها صاحت مستنكرة :

— أنشن حربا أهلية ؟ .. أنشعل نيران الفتنة وسط شعب يواجه عدوا مشترك ؟ .. ثم كيف لكم بمواجهة جيش (جوشيا) الجرار ؟
سألها الكابتن :

— ماذا تقترحين إذن ؟

اعتدلت فى اعتزاز ، وهى تقول فى حزم :
— أن نعود مع هذا الجيش الصغير إلى القصر ؛ لنقف جميعا فى مواجهة الأعداء .
غمغم (هيجز) فى ألم :

— من الأفضل أن نسرع إذن ، فساقى تؤلمنى للفاية ، واكاد أسقط نائما بين أيديكم .
رفعت (مجيدة) ذراعها ، وهتفت :
— هيا يا رجال .. حلو الخيام ، واستعدوا للسير .

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى تناهت إلى مسامعنا جلبة ، وأبصرنا رجلا يقوده بعض حراس الجيش الصغير إلينا ، وخيل إلى فى البداية أنه جاسوس ، ثم لم البث أن انتبهت إلى ملابسه الفريية ، وثوبه الفاخر ، وتلك القلادة الذهبية ، التى تزين عنقه ،

فرغمت عيني إلى وجهه ، وانطلقت من أعماقي
شبهة قوية ، وأنا أهتف :

— ولدى ؟ .. (رودريك) ؟ !

وفي اللحظة التالية كان كل منا بين ذراعي
الآخر ، يفغر وجه صاحبه بالقبلات ، والتف حولنا
الجميع في سعادة لعثوري أخيرا على ابني الضائع ،
وهتفت به في فرحة غامرة :

— كيف جئت إلى هنا ؟

أجابني في سعادة :

— على قدمي يا ولدى .

وهتف به (هيجز) :

— كنا نحسبك قد تزوجت الليلة يا (رودريك) ..

أين زوجتك ؟

أطلق (رودريك) تنهيدة حارة ، تحمل الكثير من
الخلاص والارتياح ، وهو يقول :

— لم يتم الزواج لحسن حظي .. لقد سارت

المراسم سيرها الطبيعي ، وبقي أن يضع الكاهن
عصاه على رأسينا ، ليعلنا زوجا وزوجة ، وهنا
ارعدت الدنيا ، واهتزت الجبال ، وساد الهرج
 والمرج ، وراح (الفنج) يعدون في كل مكان ، وهم
يصرخون : « سحر الرجل الأبيض قتل معبودنا ،

الذي لم يبرح مكانه منذ الخليقة .. إنه سحر الرجل
الأبيض .. » ، وراح سلطان (الفنج) يشق ثوبه
الملكي ، ويصرخ : « اجروا أيها (الفنج) ..
هاجروا .. لا يجب أن يبقى واحد منا في هذه
الأرض ، بعد موت معبودنا . » ، وراحت خطيبتى ،
ابنة السلطان ، تشق ثيابها بدورها ، وتلطم
خديها ، وراحت تعدو مع الجموع الراكضة نحو
الشرق والجنوب ، وقد أصيب الجميع بذعر هائل ،
لم أر له مثيلا في عمري كله ، ولكنى انتهزت
الفرصة ، وانطلقت أنا نحو الغرب ، وقادنى مهر
ضيق إلى هنا ، فأمسك بى هؤلاء القوم .

ضممته مرة أخرى إلى صدري ، وأنا أقول :

— مسكين أنت يا ولدى .. استجرت من

الرمضاء بالنار .

سألنى في دهشة :

— ماذا تعنى يا أبى ؟

أجبته في حزن :

— لقد تطاير رأس معبود (الفنج) مع الانفجار .

وهو يرقد الآن فى سهول (المور) ، وهذا يعنى أن

(الفنج) سيسعون إليه ، وسنقع جميعا فى

قبضتهم .



— والآن تعال أقدمك إلى سليفة الملوك .
استقبلته الملكة في حفاوة بالغة .

هز رأسه ، وقال :

— لست أظن هذا يا والدي ، غ (الفنج) يجهلون
ما أصاب معبودهم ، إلا أنه قد نسف نسفا ، ولقد
هجروا (هرقى) إلى الشرق ، فور حدوث هذا ،
ولن يكتفوا عن ابتعادهم ، ما داموا يجهلون أن
رأس المعبود هنا .

درست كلماته في رأسي لحظات ، ثم قلت :
— أرجو أن تكون محقا يا ولدي .. أرجو ذلك
من أعماق قلبي .

ثم ابتسمت ، مضييفا في حنان :
— والآن تعال أقدمك إلى سليفة الملوك .
استقبلته الملكة في حفاوة بالغة ، وانحنى هو
يلثم أصابعها ، وهو يغمغم مفتونا :
— إنها أجمل امرأة رأيته في عمري كله يا أبى .
ولم يكن أول من تقننه الملكة .

* * *

عدنا أدراجنا إلى (المور) ، على رأس جيش
(جافيت) الصغير ، واعترضتنا حامية صغيرة ،
على مشارف المدينة ، ولكن الملكة أعلنت عن
شخصيتها ، فأنسح لنا رجال الحامية الطريق ،

وابتعدوا على صهوة جيادهم ، يسبقوننا إلى
المدينة ..

ولم نكد نبلغ المدينة حتى فوجئنا بأن أخبار
الأسير الأبيض ، الذى عاد من بلاد (الفنج) على
قدميه ، قد سبقتنا ، فأعلن (جافيت) أن (الفنج)
قد هاجروا إلى الشرق ، وهم يجهلون ما حدث
لمعبودهم ، وبددت هذه الأخبار حزن (الأباتى) ،
وأشاعت بينهم الفرح ، وأطلقت من صدورهم ،
فراحوا يرقصون ويهتفون فى الطرقات ، ويهتفون
أنفسهم على شجاعتهم ، التى دفعت (الفنج) للفرار
من وجوهم والهجرة إلى الشرق !! ..

ومضينا نحن ، وسط هذه الاحتفالات ، إلى
القصر ، دون أن نلفت إلينا الأنظار ، ولكن فجأة
اعترضنا جيش ضخّم ، من ألف رجل ، وصاح
قائدهم فى (جافيت) :

— كيف غاردم موقعكم ؟ .. من أمركم بهذا ؟
أجابه (جافيت) فى حزم :

— أمرنى من لا أملك مخالفة أوامره .

قال القائد فى صرامة :

— لو أنك تقصد البيض فانت خاسر ؛ فلدينا

أوامر من أميرنا وقائدنا (جوشيا) بإلقاء القبض
عليهم .

قال (جافيت) فى صوت جهورى :

— لقد أمرتنى سليلة الملوك بحملهم إلى قصرها .

أجابه القائد فى صرامة وحدة :

— سليلة الملوك لا تملك إصدار قرار ، ما لم
يقره المجلس .

وهنا كشفت (مجيدة) النقاب عن وجهها ،
وصاحت فى غضب :

— اقبضوا على هذا القائد ايها الضباط ، بأمر
مليكتكم ، واقطعوا رأسه ، وارسلوه إلى أميره
(جوشيا) ، الذى دفعه إلى هذا .

شحب وجه القائد ، عندما رأى وجه (مجيدة) ،
والقى نفسه عن جواده ، وركع عند قدميها يمسح
وجهه فى ذيل ثوبها مستغفرا ، ولكنها قالت فى حزم :

— سننار لمقتل الجاويش .. نفذوا الأمر .

وفى اللحظة التالية كان الجيش الجرار يعود

أدراجة في موكب حزين ، حاملا رأس قائده ، في حين
صاحت (مجيدة) بجيش (جافيت) :

— هيا .. سنواصل سيرنا نحو القصر .

بدت كأحسن ما تبدو الملاكه ، وهى تتقدم الجيش
الصغير ، في طريقها إلى القصر ..

ولكن فجأة حدث ما لم يكن في الحسبان ..

لقد ارتد إلينا جيش الألف رجل ..

ارتد مقاتلا ..

تقول الأمثال إن الشدائد تبرز الرجال ..

وهذا ما حدث بالضبط ..

لقد كان جيش (جوشيا) ضعف تعداد جيش

(جافيت) ، ولكن رجال هذا الأخير كانوا من خيرة

الرجال ، ولقد تجلت شجاعتهم واستعداداتهم

القتالية على الفور ..

ودار القتال حامى الوطيس لنصف الساعة فقط ،

وبعدها انطلق من تبقى من جيش (جوشيا) يولى

الأدبار ، وقد فقدوا نصف رجالهم ، في حين لم يفقد

جيش (جافيت) سوى خمسين رجلا فحسب ..

ودخلنا القصر الملكى مع الفجر دخول الظافرين ،
ولكننا وجدنا بعض النيران تشتعل فيه ، فأسرعنا

نطفئها ، حتى هدأت الأمور مع مشرق الشمس ..

وعادت الملكة إلى عرشها ..

كنت أتحدث مع ولدى (رودريك) في الصباح

التالى ، عندما جاء (جافيت) يدعونا لمقابلة سليله

الملك ، فأسرعنا إليها ، واستقبلتنا في صوت حزين

أسف ، وهى تقول :

— عبر أحد السهام نافذة حجرتى في الصباح ،

حاملا رسالة من عمى (جوشيا) ، يقول فيها :

« فلتسلم (أم النجاشى) لنا ضيوفها البيض ، الذين

أفسدوا عقلها ، ودفعوها إلى إراقة دماء شعبها ،

وإن تسلمنا معهم جيش (جافيت) ، حتى نغفو عنها

وعن الشعب ، ونتخذها زوجة لنا ، وإلا فسنعمل

سيوفنا في رقاب الجميع بلا رحمة » .

ثم رفعت رأسها إلينا ، وسالت :

— ما رأيكم ؟

قال الكابتن :

— إننا بين المطرقة والسندان في الواقع ، فإما
أن يهاجمنا (جوشيا) وأعوانه ، أو يحاصروننا حتى
نموت جوعا .

غمفمت في شحوب :

— لقد نسيت أحد شروط هذا الفاجر يا كابتن .
وأشارت إلى الفقرة التي يطلب فيها (جوشيا)
الزواج منها ، ثم اعتدلت قائلة ، وهي تبرز خطابا
مكتوبا :

— على أية حال ، لقد أجبت خطاب (جوشيا)
بالفعل .

وراحت تقرا :

— « يا شعبي الثائر ورعيتي المتمردة ..
سلموني عمي (جوشيا) وأعضاء المجلس الذين
تمردوا على حكمي ، فأحاكمهم وأعفو عن الآخرين ،
وإلا فإنه مع اكتمال القمر سيقع لبلاد (المور) ما وقع
لببلاد (هرمق) ، وهذا ما هبط به الوحي على ،
ولتعلموا أن أمكم الوحيد في مليكتكم ، وضيوفها
البيض » .

سألتها في دهشة :

— ماذا تعنين بالوحي الذي هبط عليك ؟

أجابتنى في هدوء :

— لقد غرقت في نوم عميق مع الفجر ، وشاهدت
في نومي امرأة سمراء ، مهيبة وقور ، عرفت فيها
جسدي (بلقيس) ، التي تطلعت إلى في مزيج من
الحب والأسى ، ثم أزاحت من أمامي ستار المستقبل ،
فرايت البدر يتوسط السماء ، وتحتة بلاد (المور)
أطلالا ، وقد اكتظت شوارعها بالقتلى .

تمتم الأستاذ (هيجز) :

— إنها مجرد نبوءة عبرانية قديمة .

فوجئت بولدي (رودريك) يقول :

— لقد انتهى عهد (الأباتي) .

التفتنا إليه جميعا في دهشة ، فاستطرد في
جدية :

— لقد علمني كاهن قديم تفسير الأحلام ، وهذا
الحلم يعني نهاية شعب (الأباتي) ، مع اكتمال
القمر .

أما الكابتن ، فقد واجه (مجيدة) ، قائلا في قلق :

— هل تعلمين أن جوابك على رسالة عمك ،
يعنى إشعال حرب غير متكافئة ؟

اجابته في هدوء ، وهى تتطلع إلى حشود
(الأباتى) ، فى الميدان المواجه لقصرها :

— من يعلم كيف تنتهى هذه الحرب ؟

وبدا قولها اقرب إلى الصواب ..

نعم .. من يعلم ؟ ..

١٢ - الهزيمة ..

لم تكن الحرب متكافئة بالفعل ، فجيئش (جافيت)
لا يعدو سدس حجم جيئش (جوشيا) ، ثم أن المؤن
فى القصر لم تكن تكفى إلا لثلاثة أيام فقط ، بالإضافة
إلى أن أبواب القصر واثاثاته كانت مصنوعة فى
الغالب من الخشب ، مما يجعل اشتعال الحرائق
أمرا متوقعا ميسورا ، وعلى الرغم من ذلك فقد
رحنا نحكم المزاليج ، ونوزع الحراس على المنافذ
والأبواب ..

وطيلة الأيام الثلاثة التالية ، حاول (الأباتى)
اقتحام إحدى البوابات ، إلا أننا أصليناهم نيران
مسدساتنا وبنادقنا ، وسهام رجال (جافيت) ،
حتى ولوا هاربين ، وبعدها اكتفوا بمحاصرتنا ،
حتى يفلبنا الجوع ، ونضطر إلى التسليم ..

وراودتنا فكرة أن نخرج إليهم ونقاتلهم ، وكان
من رأى (جافيت) أن الموت فى ساحة المعركة
أشرف منه على المشانق ، ولم يؤيد هذا القول إلا
ذلك الجوع الذى نهش أمعاءنا ، مع نفاد المؤن ،
فاتخذنا قرارا بالخروج لقتال (الأباتى) فى الصباح
التالى ، مهما كانت النتائج ..

ولكن القدر لم يمهلنا لنفعل ..

لم تكد تشرق شمس الصباح التالي ، حتى بدا لنا أن سيلا من الشهب يسقط على القصر ، من قمة الصخرة المشرفة عليه ، فهتف الكابتن :

— يا إلهي ! .. أي شهب هذه ؟

ثم لم يلبث أن صاح ملتاغا :

— رباه !! إنها أسهم مشتعلة .. اقرع ناقوس الخطر يا (آدمز) .

وهوت الأسهم المشتعلة على القصر ، وراحت النيران تندلع في كل ركن من القصر ، وأصابنا ذعر هائل ، ونحن نعدو من بقعة إلى بقعة ، وكلما أطفأنا ركنا اشتعل آخر ، وأصابنا النيران بعض الرجال ، فراحوا يعدون في ألم ورعب ، كجمرات ملتهبة حية ، وراحت وصيفات الملكة يصرخن ويعولن في رعب قاتل ، وارتفع صوت (جوشيا) من الخارج ، يهتف برجاله :

— اقتلوا من تشاعون ، ولكن الويل كل الويل لمن يمس شعرة واحدة من رأس سليمة الملوك . هوت الضربات على الأبواب في عنف ، وصاحت

الملكة بوصيفاتها ، تطلب منهن الفرار بأنفسهن ، فأطعنها في ارتياح ، في حين أمسك الكابتن بيد الملكة ، وهتف :

— تعالوا .

صاحت في عناد :

— لا .. إننى أفضل الاحتراق حية ، على تسليم نفسى لـ (جوشيا) .

صاح بها :

— لن نذهب إلى (جوشيا) .. سنذهب إلى الكهف ، حيث مقابر ملوك (الأباتى) ، ففى نفق ضيق كهذا يستطيع أربعة رجال بينادقهم صد آلاف (الأباتى) .. هيا يا (جافيت) .

انطلقنا إلى الكهف ، وعبرنا مغارة مقابر الملوك ، وأشار (جافيت) إلى السرداب الذى يربط ما بين الكهف ومغارة الأسود ، وقال :

— يمكننا أن نفر من هنا .

اعترض (هيجز) فى خوف :

— وما الفائدة ؟ .. سنفر من (الأباتى) لنقع فى ايدى (الفنج) .

هتف ولدى (رودريك) :

— لا .. لقد رحل كل (الفنج) عن (هرمق) .

وافقنا على اقتراح (جافيت) ، بناء على رأى (رودريك) ، ولكن هيهات ..

كان السرداب قد انسد تماما بالأحجار والصخور ، من جراء الانفجار ، ولم يكن عددنا أو حالنا يصلح لرفعها ، فأصابنا اليأس مرة أخرى ، وخاصة مع ضعف المشاعل ، وقرب انطفاء نيرانها ..

ثم لفظت المشاعل أنفاسها الأخيرة ، وتركنا في ظلام دامس ، والجوع ينهش أمعاءنا ..

وفجأة هتف (جافيت) ، وهو يجثو عند قدمي الملكة :

— أيا سليلة الملوك .. عبدك (جافيت) شجاع صنديد في ضوء الشمس وتحت النجوم ، ولكنه هنا ، وسط الجوع والظلام ، أشد جبنا من (جوشيا) .. أرجوك يا مليكتي ، دعينا نعد إلى النور ، ونسلم أنفسنا للأمير ، فقد يعفو عنا ، ويحفظ حياتنا .

هزت (مجيدة) رأسها في صمت ، فأتجه (جافيت) إلى الكابتن ، مستطردا :

— أترضى يا سيدى أن تكون سبب مصرع سليلة الملوك جوعا وعطشا ؟

الا يدفعك حبك لها إلى صونها من الهلاك ؟

أجابه الكابتن في صوت ضعيف ، بدا وكأنه ينبعث من أحد القبور :

— أنت على حق يا (جافيت) .. اصفى إليه يا (مجيدة) ، إننا سنموت بيد الجوع أو بأيدي (الأباتى) ، أما أنت فخروجك من هنا يعنى نجاتك حتما ؛ لأن (جوشيا) لن يمسك بسوء .. هيا يا (مجيدة) .. ارحلى .. ارحلى لتنجى بعمرى .

أجابته في انفعال ، على الرغم من ضعفها وتهالكها :

— لا يا (أورم) .. إننى أفضل الموت على الزواج من ذلك الفاسق (جوشيا) .. وليمنحنى القدر فرصة أن أموت إلى جوارك .. مر (جافيت) بالتزام الصمت ، أو أطرده من هنا ، حتى لا يزعجنى مرة أخرى .

ولم يعد (جافيت) إلى هذا الحديث بعدها .. أبدا ..



قضينا في ذلك الكهف يومين كاملين ، نهش
خلالهما الجوع أمعاءنا ، ولم يكف ذلك القدر الضئيل
من المياه لمنحنا شيئا من الطاقة ، ولقد اختفى
(جافيت) ، ولكن ذلك لم يلفت انتباهنا كثيرا ، فقد
أدركنا أنه قد ذهب ليموت في مكان ما ، وشعرنا أن
الموت يحيط بنا كلنا مثله ، وراح الضعف يحيط بى
في شدة ، وأذكر أن آخر عود ثقاب أشعلته قد
جعلنى أرى الأستاذ (هيجز) ، وهو يخط بضع
كلمات على قبعته ، وهو يظنها مفكرته ، وقد ارتدى
منظاره ، على الرغم من الظلمة ، وإلى جواره وقف
(رودريك) ينشد بالعربية والإنجليزية ، وعلى
مقربة منهما رايت (مجيدة) تجلس إلى جوار
(أورم) ، وقد أحاطها هو بذراعيه في حنان ،
وأسندت هى رأسها إلى كتفه ..

ثم غمر وجهى ضوء قوى ..

ونقدت الوعى ..

وفجأة استيقظت ..

استيقظت لأجد نفسى في حجرة كبيرة ، راقدا على
فراش وثير ، وإلى جوارى يرقد (هيجز) والكابتن
و (رودريك) ..

ثم دخل خدم (الأباتى) يحملون الطعام ، وراخوا
يطعموننا ، ثم تركونا نعود إلى النوم ..

وتساءلت عما يعنيه هذا ..

أهو حلم ؟ ..

أهو أمل بالنجاة ؟ ..

ولكن لا ..

إن مذاق الحساء واللحم ما زال فى فمى ، وبين
أسنانى ..

إنها حقيقة إذن ..

لقد نجونا ..

لقد أخرجونا من الكهف ، وحملونا إلى هذا
المكان ! ..

ولكن من فعل هذا ؟ ..

ولماذا ؟ ..

لماذا أبقوا على حياتنا ؟ ..

لم أجد جوابا لكل هذه الأسئلة ، ولم أحاول حتى

ان القيها على خدم (الأباتى) ، الذى اطعمونا
الحساء واللحم خمس مرات فى يوم واحد ، حتى
استعدنا عانيتنا ، ورايت (هيجز) يجلس على
فرائشه ، ويحدق فى وجهى ، قائلا

— أنجونا ، أم انه يوم الحساب ؟

أجبتة فى خفوت :

— الأرجح انه يوم الحساب .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— لو أننا وقعنا فى ايدى (الأباتى) ، فالجواب
الأصح هو أننا فى الجحيم .

ثم هتف بالكابتن :

— استيقظ يا (اورم) .. لقد خرجنا من الكهف
على أية حال .

نهض الكابتن ، وتطلع إلينا لحظة ، ثم سألنا :

— أين (مجيدة) ؟

لم نملك جوابا لسؤاله ، ولكن (رودريك)
أجاب :

— لقد حملونا إلى خارج الكهف ، وكان (جافيت)
معه . . . ولقد رايتهم يحملون سارية الملوك إلى
جهة أخرى .

حاولنا هذه المرة أن نلقى بعض الأسئلة على
الخدم ، ولكنهم رفضوا رفضا باتا منحنا أية
أجوبة ، ولقد سمعت أحدهم يهمس لزميله ، وهما
يفادران الحجرة :

— متى تنتهى خدمتنا لهؤلاء الاوغاد البيض ؟

أجابه زميله :

— سيقدر المجلس هذا ، فى غضون يوم أو
يومين .

وعند الغروب سمعنا أصواتا تهتف أسفل
النافذة :

— أعطونا الغرباء .. نريد الغرباء .. لقد
سئمنا الانتظار .

فغمغم الأستاذ (هيجز) :

— من المقلاة إلى النار مرة ثانية .

مضينا إلى المجلس وسط حلقة من الجند ، تعمل على حمايتنا من غضب الشعب ، حيث راحت النساء يلوحن بقبضاتهن في وجوهنا ، ويصقن علينا ، في حين رشقنا الأطفال بالحجارة ، ووجوه الجميع تحمل كل الكراهية والتشفي والبغض ، فسألني (رودريك) ، وهو يدلك كتفه ، بعد إصابته بحجر :

— لما يكرهونكم على هذا النحو يا والدي ، على الرغم من كل ما أدبتم لهم من خدمات ؟
أجبت في حزن :

— لأن الملكة تحب أحداً يا ولدي ، ولأنهم يكرهون الأجانب ، وكل الجبناء ، سيسعون للانتقام منا ، بعد أن أمنوا شر (الفنج) ، وأصبحوا بلا حاجة لوجودنا .

غمغم في غضب :

— كم أتمنى أن يدرك (الفنج) خطاهم ، ويعودا للثأر من هؤلاء الجبناء .

وبدا لي قوله أقرب ما يكون إلى الصواب ..

لقد نجونا من الموت في الكهف ، لنقع في أيدي من يمتنوننا أشد المقت ..

ولقد بقينا في هذا الكهف ثلاثة أيام ، نعمنا فيها بأطيب الطعام والشراب ، كالنعاج التي يتم تسمينها للذبح ، وفي اليوم الرابع ، وبعد أن افتهينا من تناول طعام الإفطار ، اقتحم عدد من الجنود حجرتنا ، بقيادة ضابط غليظ خشن الطباع ، أخبرنا في شماتة أننا سنذهب إلى المجلس ، لنحاكم أمام سليله الملوك ، بتهمة قتل عدد من الرعية ..

وذهبنا ونحن نجهل مصيرنا هذه المرة ..

نجهله تماماً ..

* * *

بلغنا مجلس الملكة الكبير في صغوبة ، وبعد
أن أصابنا بعض الحصى والحجارة واخترقنا
صفوف وجموع النبلاء والكهنة والقادة ،
الذين راحوا يسخرون منا ، ويعبرون عن شماتتهم
ومقتهم ، حتى وضعنا الحراس في المكان المخصص
للمتهمين ، إلى يسار عرش (مجيدة) ، التي أخفى
نقابها الموشى بالنجوم الفضية وجهها ، وسمعت
الكابتن يتنهد في ارتياح ، وهو يقول :

— حمداً لله .. إنها بخير .

قال (هيجز) في حلق :

— كان ينبغي أن نتخذ مكانها إلى جوارنا ، في
قفص الاتهام ، لا فوق العرش .

أشار إليه الكابتن بالصمت ، ونهض ممثل الاتهام
يتهمنا بأننا قد انتهزنا فرصة وجودنا على رأس
جيش (المور) ؛ لنثير حرباً أهلية ، ونشعل نيران
الفتنة وسط شعب (الأباتي) ، مما تسبب في إراقة
دماء العديد من الأهالي بأيدي بعضهم البعض ، إلى
جوار من قتلناهم بأيدينا ، ثم اختطفنا الملكة ، وهربنا
إلى مدينة الأرواح تحت الأرض ، لولا أن كان بيننا
(جانيت) ، أحد رجالهم المخلصين ، الذي كشف
لهم عن مخبئنا ..

وانتهى ممثل الاتهام من حديثه ، فسألنا القاضي :
— هل هذا صحيح ؟

نهض الكابتن نيابة عنا ، وقال :

— ليس هناك مجال لاتهامنا بقتل من سقطوا
في ساحة القتال ، فقد كنا ندافع عن حياتنا ، ثم إننا
لم نبدا تلك الحرب الأهلية ، بل بداها أميركم .

سرت هممة غاضبة وسط الحضور ، ولكن
الكابتن تجاهلها تماماً ، وهو يواصل حديثه في
شجاعة :

— أما عن باقي الاتهامات ، فسأترك لسليلا
الملوك وحدها التحدث عنها ؛ لأنها تعرف حقيقة
ما حدث .

صاح بعض المقترجين :

— لقد اعترفوا بجريمة القتل .. أصدروا الحكم
بإعدامهم فوراً .

نهض القضاة من مجالسهم ، والتفوا حول
(مجيدة) ، يشاورونها في الأمر ، وقضوا حولها
بعض الوقت ، ثم عادوا إلى مقاعدهم ، فرفعت
(مجيدة) يدها ، وساد المكان صمت تام ، قبل أن
تقطعه هي ، قائلة في برود :

— لقد اعترفتم أيها الغرباء بإثارة حرب أهلية ،
أهدرت فيها دماء وأرواح بريئة طاهرة ، وهذا
لا يحتاج إلى أدلة أو براهين ، فدموع اليتامى
والأرامل ودماء الشهداء تشهد بذلك ، ثم تأتى جريمة
اختطافى ، واحتجازى فى أرض الأرواح ، لتضمنوا
سلامتكم .

صعقنا حديثها ، وعقد السننتنا فى حلوقنا من فرط
الذهول ، فى حين تابعت هى بنفس اللهجة الباردة :
— إنكم تستحقون ما هو شر من الموت ، بسبب
هذه الجرائم ، ولكننا سنذكر لكم تدميركم لمعبود
(الفنج) ، وسننصفو عنكم بالنسبة للإعدام ، ولكننى
أمركم بالرحيل اليوم إلى بلادكم ، بما لكم من متاع ،
وبما جلبتموه معكم من مقبرة الملوك ، والويل لكم
لو عدتم إلى هذه البلاد ، ولتحمداوا الله ؛ لأنكم وجدتم
شعبنا كريما ، أصر على التمسك بالاتفاق بين
مجلسه وبين جماعة من البيض الغرباء ، حتى
لا يوصم بالتبازل عن شرفه يوما .. ارحلوا ،
ولا تدعونا نرى وجوهكم بعد اليوم .

هتف البعض مؤيدين ، وصاح البعض الآخر
غاضبا :

— لا .. لا .. يجب أن يقتلوا .

أشارت (مجيدة) بيدها فى صرامة ، فعباد الصمت
يسود المكان ، لتقول هى فى حزم :

— حذار أن يصمكم التاريخ بأنكم شعب من
القساة الجبناء ، معدومي الشرف .. لقد دعونا
حفنة من كلاب البيض لتضطاد لنا وحشا يحمل اسم
(هرمق) ، ولقد نجحوا فى مهمتهم ، وأحسنوا
الصيد ، ويستحقون أن نبقى على حياتهم ، وأن
نمنحهم كومة العظام التى ارتضوها أجرا لهم ، والتى
يتصورون أنهم قد ربحوها بعرق الجبين .. وما قيمة
حفنة من العظام عند شعب عظيم مثلكم ، لم يلوث
أرضه بدماء كلاب بيض .

نقل حديثها الحماس إلى قلوب الجميع ، فارتفع
هتاف هادر :

— فليرحلوا .. اربطوهم إلى ظهور الجمال ،
وليرحلوا بعيدا .

قالت فى حزم :

— هذا ما سنفعله ، ولكن لدى كلمة لكم
يا شعبي .. لقد تصور بعضكم أو ظن أننى أحب
أحد هؤلاء الكلاب البيض ، ولكنكم نسيتم أنه هناك
نوع من الكلاب لا يعمل إلا إذا ربنا على رأسه ،

وهذا ما فعلته مع أحد هؤلاء البيض ، فقد رحت
أريت على رأسه ؛ لأستغل علومه ومواهبه ،
وأدواته الجهنمية ، التي هدمت معبود (الفنج) ..
أتصورتم يا شعبي المجيد أن حفيذة (سليمان)
و (بلقيس) ، وابنة الملوك والحكمة ، وزهرة
(المور) ، يمكنها أن تهبط من عرشها ، وتمنح قلبها
لغريب ضال ، جاء يسعى خلف كنوز الملك
(سليمان) ؟ .. لا .. إننى أرثى لحال هذا الغريب ،
الذى تصور يوما ابنى قد أحبيته ، وادعوه فى الغد
لحضور حفل زفانى إلى الرجل الذى وهبته نفسى .
ومدت يدها إلى (جوشيا) ، الذى انحنى يلثم
أصابعها مزهوا فخورا ، وتمتم ببضع كلمات لم تبلغ
مسامعنا ، وسط دوى القاعة بالهتاف والتصفيق ،
إلى أن علا صوت الكابتن كل الأصوات ، وهو
يقول :

— لقد سمعنا كل شيء .

ران الصمت على القاعة إثر صيحته ، وتطلع إليه
الجميع ، فانخفض صوته ، وهو يقول فى حزم بارد :
— سمعنا حديثك يا سليلة الملوك ، ونشكر لك
اعترافك بخدماتنا ، ومخاطرتنا بأرواحنا فى سبيل
هدم معبود (الفنج) ، ونعترف بكرمك عندما تطلقين

سراحنا ، وتمنحينا ما وعدت من مكافآت مقابل
ذلك ، وهذا دليل على كرم شعب (الأباتى) ، الذى
سنذكره دوما ، لو قدر لنا العودة إلى وطننا ،
ولكن لى رجاء آخر يا زهرة (المور) .

مالت بجسدها إلى الأمام ، وكأنها يهمها كثيرا أن
تستمع إلى مطلبه ، فقال فى صوت قوى :

— أريد أن أرى وجهك لآخر مرة ، دون نقاب ،
لأتأكد من أن من أستمع إليها هى نفسها سليلة
الملوك ، لا امرأة أخرى متكررة فى ثوبها وصوتها .
ران الصمت تماما بعد كلماته ، واتجهت العيون
كلها إلى حيث تجلس (مجيدة) ، وكأنما تملكهم
الشفف لمعرفة رد فعلها وجوابها ..

وفى ببطء شديد ، رفعت (مجيدة) نقابها ..

وتراجع الكابتن فى دهشة ..

بل تراجعنا جميعا ..

لقد بدت لنا (مجيدة) أخرى ..

(مجيدة) الشاحبة الذابلة ، وكأنها هيكىل أو
شبح امرأة ..

وأدركنا جميعا لحظتها سر موقفها النبيل ، ومدى
معاناتها ، وهى تلعب ذلك الدور الهائل ، مضحية
بنفسها فى سبيل إنقاذنا ..

وهنا سقط الكابتن ..

سقط مغشيا عليه ، وكأنما لم يحتمل كل ذلك
القدر من العواطف والاتفعالات ..

وكادت (مجيدة) تهوى خلفه ، لولا أن تشبثت
بذراعى عرشها ، وبذلت أقصى جهدها لتبدو هادئة
ساكنة ، وهى تقول :

— لقد فقد وعيه لما لحقه من إهانات .. اتركوا
لرفيقه الطبيب (آدمز) مهمة العناية به ، وعندما
يستعيد وعيه أخرجوهم من (المور) ، وامنحوهم
مؤن تكفى لأربعة أيام ، ولا يمسهم أحد بأذى ، حتى
لا يقال إننا قد أطلقنا سراحهم لنقتلهم الما وجوعا
بعيدا عن أبوابنا .

ولوحت بيدها معلنة انتهاء المجلس ، ونهضت
مفادرة المكان ، وخلفها كهنتها وقوادها
ووزراؤها ..

وحمل بعض (الأباتى) الكابتن على محفة ،
وسمعت أحدهم يقول فى سخرية :

— انظروا إلى ذلك الكلب الأبيض ، الذى منى
نفسه بالحصول على زهرة (المور) ، فلم يحصد
سوى القدم والعار .. أظنه قد لقى حتفه كمدا .
شاركه الباقون سخريته وتهكمه وشماتته حتى

بلغنا سجننا ، فرحت أعمل على إنعاش الكابتن ،
حتى استعاد وعيه ، وقال فى هدوء :

— لقد رأيتم ما حدث يا رفاق ، وأستحلفكم بحق
السماء ألا يذكر أحدكم (مجيدة) بسوء ، وألا يتحدث
عن هذا الأمر مرة أخرى .

وعدناه بتحقيق رغبته ، فى حين أشاح ولدى
(رودريك) بوجهه ، وابتسم ابتسامة غامضة ، أم
أنهم مغزاهم لحظتها ، ولكننى لم أسأله ، بل اكتفيت
بأن تناولنا جميعا الطعام ، ولم نكد ننتهى من تناوله
حتى دخل ضابط من ضباط (الأباتى) إلى حجرتنا ،
يأمرنا بالاستعداد للرحيل ، وخلفه عدد من الجنود
يلقون إلينا بملابسنا ومعاطف تقينا شر البرد القارس
ليلا ..

وأبدلنا بثيابنا ثيابا نظيفة ، ثم خرجنا إلى حيث
تنتظرنا بعض الجمال ، أدركت عندما وقع بصرى
عليها أنها من أجود أنواع الجمال ، وقال الضابط
فى صرامة :

— هيا أيها الغرباء .. راجعوا أمتعتكم ، حتى
لا تدعوا أننا قد سرقنا منكم شيئا .. ها هى ذخيرتكم
والعابكم النارية ، ولكننا لن نسلمها لكم قبل نهاية
الطريق ، وستتبعكم جمال تحمل صناديق العظام

١٤ - الختام ..

كان أول ما جال بخاطرنا ، في تلك اللحظة ، هو
ان (جوشيا) يضرر لنا شرا ، وأنه ما وقف ينتظرنا
خارج أبواب (المور) ، إلا ليمزقنا إربا مع جنوده ،
إلا أنه اكتفى بابتسامة ساخرة ، وهو ينحنى في
تهكم ، قائلا :

— الوداع أيها الضيوف الأعزاء .. أرجو لكم
رحلة طيبة آمنة .

ثم التفت إلى الكابتن ، واستطرد :

— أما أنت أيها الوسيم ، فسليلة الملوك تبلفك
أنها تأسف ؛ لأنك لن تشاهد حفل زفافها إلى الليلة ،
فلقد خشيت أن يثور قومها لرؤيتك ، فيقتلوك
وتسيل دماؤك ليلة عرسنا ، ولقد أرسلتني لأخبرك
أنها تتمنى لو كنت قد وعيت الدرس ، حتى لا تتصور
لاحقا أن عطف صاحبة المصلحة عليك حب ، فتفكر
في عبارتها ، واشرب الليلة نخب زهرة (المور)
وزوجها الأمير (جوشيا) .

واجهه الكابتن في برود ، وقال :

— من يدري على أي أمر تشرق شمس الفد
يا (جوشيا) .. العبرة دائما بخواتم الأمور ،

التي طلبتموها اجرا ، وأخرى تحوى بعض الآثار ،
التي طلبها (هيجز) .. ولقد أمرت الملكة ألا تفتحوا
هذه الصناديق قبل بلوغكم (مصر) ، حتى لا تجادلوا
في أمر المكافأة أو قيمتها ، والجمال الأخير يحمل
طعامكم .. هيا .. لقد حان موعد رحيلكم .

امتطينا صهوات الجياد ، ورافقنا الحراس حتى
نهاية الطريق ، حيث كانت تنتظرنا جماعة من
الناقمين ، الذين راحوا يمطروننا بأقذع الالفاظ ،
حتى أقصاهم الجند عنا ، وألقى أحد هؤلاء الناقمين
علينا بيضة فاسدة ، تحطمت على أنف (هيجز) ،
وسالت على وجهه ، فراح يسب ساخطا ناقما ، في
حين انفجرت أنا ضاحكا للمشهد ، وبددت ضحكته
جو الكتابة المخيم على الموقف ، ثم لم تلبث أن اختنقت
في حلقى ، عندما وقع بصرى على رجل في أبهى
حلله ، يمتطى جوادا أشهب ، وينتظرنا ممتشقا
سيفه ، وسط ثلة من رجاله ..

كان أكثر شخص يبغضنا في هذا العالم ..

الأمير (جوشيا) ..

لا ببداياتها ، وثق أنه من عاش بالسيف مات به ،
وأن حياتك التي بنيتها على الغدر ستنتهي بغدر ،
وأن من يضحك أخيرا يضحك كثيرا ، وكان ينبغي
أن تطلب منى الصفع عن شماتتك وشتائمك ، التي
انهلت بها على رعوس من لا يملكون القوة على الثأر
والانتقام .

قال هذا وواصل طريقه ونحن خلفه ، في حين
سمعنا (جوشيا) من خلفنا يسأل أحد رجاله في
دهشة :

— ما الذي يعنيه هذا الخنزير ؟ .

ولكننا لم نتوقف ، وواصلنا السير حتى ابتعدنا
عن (جوشيا) ورجاله ، وأبواب (المور) ، وغابت
كلها عن أبصارنا ، فإذا بالاستاذ (هيجز) ينفجر
ضاحكا ، على نحو أثار دهشتنا ، فسأله الكابتن :

— وماذا هناك ؟

أوقف (هيجز) جملة ، وهبط من على ظهره ،
واندفع إلى أحد الجمال المحملة بالصناديق ، وهو
يهتف :

— لا تسأل وأنت تجلس هناك .. هلم
وساعدنى لنفتح أحد هذه الصناديق .

قال الكابتن في حذر :
— ولكن أوامر الملكة ..
قاطعه في انفعال :

— دعك من هذا .. هيا وعاونى .

عاوناه جميعا على إنزال أحد الصناديق الثقيلة ،
وهتف هو في انفعال ، وهو يزيل رتاج الصندوق :
— لن يمكنكم أن تتصوروا حجم المكافأة التي
حصلنا عليها ، والتي انتقيتها بنفسى من مقابر ملوك
(المور) .

فتحنا الصندوق ، وتراجعنا مبهورين ..
كانت هناك أكوام من الذهب والمجوهرات
والتحف الأثرية والأحجار الكريمة بمختلف أنواعها ..
والتمعت التحف والمجوهرات تحت أشعة
الشمس الأفلة ، وهتف (هيجز) ، وهو يشير إلى
الصناديق التي تحملها الجمال الأخرى :

— كل صندوق من هذه يحمل نفس الأشياء ..
لقد منحتنا الملكة كنزا ، مقابل ما فعلنا .. منحتنا
كنوز الملك (سليمان) .

قلت في انفعال ، وأنا أطلع إلى الكنز :

— لا تنسوا نصيب الجاويش (كويك) ..
سيحصل على عشرة في المائة من كنوز الملك

(سليمان) ، وسنقدمها إلى أبناء شقيقه الراحل ،
و.....

وقع بصرى في تلك اللحظة على وجه الكابتن ،
الذى بدا باردا ، خاليا من الانفعالات ، فبترت
عبارتى ؛ لأسأله في دهشة :

— ألا يساعدك الحصول على كنوز الملك
(سليمان) ؟

أطلق من أعماق صدره تنهيدة حارة ، وهز
رأسه وكففيه ، وهو يقول فى أسف :

— ما فائدتها ، وقد خسرت الكنز الحقيقى ؟

ثم أدار ظهره لنا ، وانصرف متجاهلا اكدا
الذهب والمجوهرات ..

لحظتها علمنا ما الذى يقصده بالكنز الحقيقى ،
وامتلات رعوسنا بصورة واحدة ..
صورة الملكة ..

مضت بنا القافلة فى الصحراء ، وقد تقدمتها انا
و (هيجز) ؛ لخبرتنا بدروب الصحارى ، وسار
الكابتن فى الوسط ، فى حين بقى (رودريك) فى
المؤخرة ، لسمعه الحاد ، وخبرته فى كبح جماح
الجمال وقيادتها ..

وعبرنا مدينة (هرمق) العظيمة ، وقد خلت من
سكانها ، وصارت أطلالا مهجورة ، على الرغم من
أن حقولها لا تزال مزهرة يانعة ، وواصلنا سيرنا
حتى بلغنا قرية مهجورة ، فحططنا فيها الرجال ،
ورحنا نتناول طعامنا ، مع مغيب الشمس ..

ودار بيننا نقاش حول الطريق الذى ينبغى أن
نتخذه ، انطلق إلى الشمال ، أم نسلك
الطريق القديم ، بعد أن جفت مستنقعاته ، وخرج
(رودريك) لاستطلاع المنطقة ، ثم عاد ليخبرنا أنه
قد وجد آثارا تشير إلى أن جيشا عظيما من (الفنج)
قد غادر المدينة منذ ما لا يزيد على اثنتى عشرة
ساعة على الأكثر ..

ولقد أقلقنا هذا كثيرا ، ورحنا نتساءل عما يعنيه
هذا ، حتى غلبنا النوم ، فاستسلمنا إليه فى عمق ..
وقبيل الفجر أيقظنى (رودريك) ، وهو يقول :
— معذرة لإزعاجك يا أبى ، ولكن هناك ظاهرة
فى السماء ، أحب أن تشاهدها .

استيقظت وتطلعت إلى الشفق ، حيث (المور) ،
وهالنى أن أجد السماء هناك مضاءة ، وكأننا فى
وسط النهار ، فأسرعت إلى الكابتن ، الذى لم يذق
النوم ، وهو يعلم أن حبيبته ستزف لأبشع رجل

عرفه في حياته ، فهب يحدق في المشهد بدوره ، ثم
قال في صوت هادئ :

— إن (المور) تحترق .

هتف (رودريك) في انفعال :

— لا ريب أن (الفنج) قد تسللوا عبر الطريق
السري إلى (المور) ، ولا شك أن (بارونج) قد
ذبح (جوشيا) ، أو قتله شر قتلة ، قبل أن تزف إليه
سليلة الملوك .

غامت عينا (اورم) بحزن عميق ، دون أن ينبس
ببنت شفه ، في حين غمغمت أنا مشفقا :

— يا للملكة البائسة !! ترى ماذا أصابها ؟

هز (هيجز) رأسه ، وقال :

— من يدري ؟ .. إننى معجب حقا بتلك الفاتنة ..
يا للبائسة !.

ومجأة هتف (رودريك) :

— هناك من يقتفى أثرنا .

أسرعنا إلى حيث يشير ، ووقع بصرنا على شبح
ملثم ، يعتلى صهوة جواد متعب ، فرفع (هيجز)
بندقيته إليه ، وقال في صرامة :

— من أنت ؟

هبط الشبح عن جواده ، وبدأ لنا كصبي صغير ،
اتجه نحو الكابتن ، وقال في صوت أجش :

— إننى رسول أحمل رسالة للكابتن .

وناول الكابتن شيئا ، ورأيت الكابتن يحدق في هذا
الشيء مبهورا ، فألقيت نظرة على راحته ، وهتفت :

— رياه !! .. إنه الخاتم .. خاتم (بلقيس) .

وصاح الكابتن في جزع :

— من أين أتيت بهذا الخاتم أيها الصبي ؟ وماذا
أصاب صاحبه ؟

أجابه الصبي الملثم :

— لقد ماتت ابنة الملوك التى عرفتها ، ولم تعد
بها حاجة لهذا الخاتم .

امتقع وجه الكابتن ، وتراجع كالمصعوق ،
وانتقلت صاعقته إلينا ، عندما أردف الصبي بصوت
مألوف لأذاننا :

— ولكن (مجيدة) التى أحبتك ما زالت على قيد
الحياة .

وانترع الصبي اللثام ، وشهقنا جميعا ..

لقد كان (مجيدة) نفسها ، التى رحنا نتطلع إليها

في ذهول وصمت ، قبل أن ترنو هي إلى حبيبها ،
وتضيف :

— لم تعد بي حاجة إلى الخاتم ، ما دمت سابقي
إلى جوارك .

ضمها (أورم) إلى صدره في لهفة وسعادة
واشتياق ..

الآن فقط نال الكنز الحقيقي ..

كنز الملك (سليمان) ..

[تمت بحمد الله]



وانتزع الصبي اللثام ، وشهقنا جميعاً ..
لقد كان (مجيدة) نفسها ، التي رحنا نتطلع إليها ..



كنوز الملك سليمان

رائعة الأديب البريطاني (رايدار هاجارد) ، التي
يقفز فيها عبر عالم الخيال ، إلى بلاد غامضة مجهولة ،
وسط أدغال أفريقيا ، ليواجه مع أبطاله الأهوال
والأحداث المثيرة ، في سبيل بلوغ تلك الكنوز
الأسطورية .. (كنوز الملك سليمان) .

